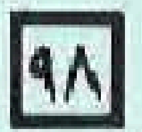


الكتاب العربي السعودي



سعيد عبد العزيز الجندول

إليكم.. شباب الأمة

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية

إليكم . . . . .

شباب الأمة

مقدمة

أحمد الله وأستمد منه التوفيق والاعانة ، وأصلي وأسلم على عبد الله ورسوله الداعي إلى الهدى والخير وأسأل البارى جل وعلا حسن القصد وصفاء النية وقبول العمل. .. وبعد :

ونحن نعيش في عصر الصراعات الفكرية ، والنقاش والتشكيك في العقائد والمباديء والأخلاق ، وأبناؤنا وهم يعيشون معنا هذه المعارك الفكرية ، ولما تصل أفكارهم بعد إلى درجة النضج الذي يجعلهم يميزون بين النافع والضار ، كما لم تكن معلومات بعضهم عن منطلقات الإسلام في كثير من مجالات الحياة كافية ليقفوا في صلابة المؤمن أمام هذه الأفكار الملحدة ، أقول – وهم يعيشون معنا هذا الصراع الفكري – لابد وأن توضع بين أيديهم بعض المعلومات التي تساعدهم على فهم مبادىء الإسلام في كثير من مجالات الحياة لتبقى عقيدتهم بعيدة عن الانحراف وأخلاقهم رفيعة ملتزمة بما يرضي الله ،

واذ أركز على الشباب في هذا المجال ، فإنما لأنهم دائما الذين بهم تسعد الشعوب وبهم تشقي ، وعن طريقهم تصان عقيدة الأمة ، ويقوى سلطانها ، وتربية الشباب على منهج الله ، وتغذية أفكارهم بمبادىء الإسلام ، هما الركيزتان الأساسيتان لإيجاد الشباب الملتزم باسلامه ، والمدافع عن عقيدة وأخلاق أمته .

وما من شك في أننا عندما نضع الشباب في مقدمة اهتاماتنا ، فنرسم لهم الطريق إلى الخير ونقدم لهم مبادىء الإسلام بأسلوب يفهمونه ويهضمونه إنما نهيئهم للدور العظيم الذي ينتظرهم ، وهو الدفاع عن دين الله والدعوة اليه والحفاظ على الشخصية الإسلامية المتميزة ، ليكونوا الحراس الأمناء ، ضد كل وسائل الهدم والتخريب ، مهما كانت أسبابها وتعددت مصادرها.

من أجل هذا جعلت عنوان كتابي هذا « إليكم شباب الأمة » تأكيدا لاهتمامي بالشباب ، واعترافا بدورهم الفعال في حماية الإسلام من كيد الأعداء وظلم الجهلاء وتطاول السفهاء ،

وايمانا راسخا بأن أمة الإسلام دون شباب يحمل هذا الإسلام فكرا وسلوكا أمة مهددة في عقيدتها وسلوكها ومعرضة دائما للخطر في كل جانب من جوانب حياتها .

ومن هذا المنطلق أستطيع القول في ثقة بأن الشباب المتعمق في فهم الإسلام ، والملتزم به فكرا وسلوكا هو الجيش الذي يقف في الصفوف الأولى لحماية الإسلام والمسلمين في كل بقاع الأرض. ..هذا ... ونسأل الله الهداية والاعانة والرشاد ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

المؤلف

مبدأ السلام في الإسلام

السلام اسم من أسماء الله ، والإسلام معناه خضوع الانسان لعبودية الله ، والتزامه بما فرضته الشريعة عليه من أوامر ونواه ، والسلام شعار فرضه الإسلام على المسلمين ، عندما يلتقون في أي مكان كان وعلى أي شكل يكون ، ولم يعرف في أي أمة من الأمم قبل بعثة الرسول ﷺ ، أنها استعملت كلمة السلام كتحية يتبادلها الناس فيما بينهم ، فهي تحية خاصة بالمسلمين يلقيها المسلم على من عرف ومن لم يعرف ، وكلمة السلام هذه تعني بالنسبة للمسلمين فيما بينهم الاعلان الصريح، بأن لا أحقاد ولا ضغائن ولا دس ولا كيد بين المسلم وأخيه المسلم وإنما حب وصفاء بين الصغير والكبير والقوى والضعيف والغني والفقير وبالنسبة الغير المسلمين تعني الأمان وعدم الاعتداء ، والعيش بسلام ،لذا جاء حديث الرسول ﷺ يقول : {المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده} (متفق عليه) ويقول القرآن الكريم في حق غير المسلمين الذين لم يقاتلونا في ديننا ولم يعتدوا علينا باخراجنا من ديارنا أن نبر بهم وحسن التعامل معهم ،جاء هذا في قول الله سبحانه وتعالى ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ [الممتحنة: ٨].

وللاشادة بضرورة السلام ، وللاهتمام بشأنه كعامل أساسي على أمن الإنسان وسعادته في حياته ، فرض الإسلام على المسلم أن يقول كلما صلى لله فرضا أو نفلا أن يقول في نهاية صلاته السلام عليكم ورحمة الله .ومن هنا نقول إن السلام الذي ينشده العالم كله ، هو الشعار الذي يفخر به المسلم على غيره ، ويدعو اليه الآخرين عند التقائه بهم ، وعند انتهاء صلاته اعلانا كما قلنا عن التفاهم والحب وعدم الاعتداء ، وعلى أي حال فإن أي تحية غير تحية الإسلام لا تؤدي المعنى الذي تؤديه كلمة السلام عليكم ، فصباح الخير وطاب مساؤك ، وقود مورننق ... أو بونجور ... أو غير ذلك من التحايا المتعارف عليها كلها لا تؤدى إلا إلى تمنيات طيبة بالخير للمسلم عليه فقط ، أما كلمة السلام عليكم فتشمل معاني كثيرة ومتعددة – وهي مع

هذا وذاك تحية أهل الجنة دار السلام ، والإسلام حينها يجهر بالدعوة إلى السلام ، انما يؤكد بذلك حقيقة ثابتة وهو أنه يريد للعالم كله أن يتمتع في حياته بلذة السلام ، لذا جاء في القرآن الكريم قول الله تعالى:﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾[البقرة: ٢٠٨] وقال :﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾[الأنفال ك٦١] هذا هو معنى السلام شعار الإسلام ، وواجب الشباب المسلم أن يتحمل مسؤولياته تجاه هذا السلام الذي يدعو إليه الإسلام .

الله وليس غير الله

الله جلت قدرته هو الأول فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء ، والظاهر فليس فوقه شيء ، والباطن فليس دونه شيء ، خلق الموت والحياة وأوجد الإنسان والنبات ، والأرض والسماء ، والجبال ، والبحار ، والسهول والأنهار والذرة والهباء ، وكل ما نعلمه ، وما لم يقع تحت حسنا مخلوق من رب هذا الكون الذي خلقه من العدم إلى الوجود ، فهو الإله الخالق والمعبود الذي لا يستحق العبادة غيره ، والمفتاح الذي يستطيع الإنسان بواسطته الدخول في دائرة الإسلام ، هي كلمة **لا إله إلا الله** وتعني الاعتراف الذي لا يقبل الشك ، بأن الله وحده هو الذي يستحق العبادة دون سواه ، تلك العبادة التي ماخلق البشر الا من أجلها ، جاء ذلك صريحا واضحا في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ وحينا فرض الله العبادة على البشر فليس لأن الله تعالت قدرته – وهو الذي اوجد هذا الكون كله – في حاجة إلى عبادة المخلوقين ، ولكنه لحكمته جعل هذه الدنيا دار اختبار ليقيم فيها الحجة على من يطيع أوامره فيجازيه بما يستحقه في الآخرة من النعيم الخالد ، ومن يتمرد على أوامره فيؤدبه بما يستحقه على تمرده هذا من عقاب ، قد يكون فوق طاقة تحمله ، وكلمة لا إله إلا الله تعني رفض كل عبادة لأي مخلوق كان نبيا أو غيره ، ومن أجل هذا فإن ما يعتقده النصارى في عيسى عليه السلام ، من أنه الله ، أو ابن الله أو ثالث ثلاثة ، وما يفعله البوذيون بالنسبة لبوذا ، وما يمارسه غيرهم من الاتجاه إلى المخلوقين بعبادات معينة ، مناقض تماما لما تدل عليه كلمة لا إله إلا الله وعملهم هذا شرك مع الله في العبادة يستحقون عليه الخلود في النار ، وذلك لأنهم جعلوا هؤلاء المخلوقين شركاء لله في العبادة وقد قال الله تعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾

وإن أول وأهم ما أمر النبي ﷺ أن نؤمن به هو « **لا إله إلا الله** » لأنها الكلمة التي يقوم عليها بناء الإسلام ، وهي التي تميز المسلم عن غيره ، ذلك أن اعتقاد المسلم عن يقين بأن لا إله إلا الله ، تجعله مرتبطا بالله ارتباطا مباشرا ودون واسطة ، الا واسطة العمل الصالح وتجعله

كذلك يؤمن في صدق ، بأن الله هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون والمالك المشارق الأرض ومغاربها ، لا ضار ولا نافع غيره ، ولا محي ولا مميت سواه ، وهو وحده صاحب السلطة والسيادة ، هذه المعاني ولا شك عندما ترسخ في ذهن المؤمن بالله ، يعلم علم اليقين ، أن كل شيء خاضع لأمر الله ، وأن لا إله يستحق العبادة غير الله .

المعجزة الخالدة

المعجزة الخالدة التي أقصدها هنا هي القران الكريم ، تلك الرسالة الإلهية العظيمة التي أراد الله لها أن تكون آخر الرسالات السماوية إلى البشر . ولأنها آخر الرسالات فقد جاءت على غير النمط الذي جاءت به الرسالات التي سبقتها ، من حيث إنها جاءت عامة وشاملة لجميع أمم الأرض ، ومتضمنة لكل ما يحتاج اليه الانسان من تشريع وغيره ، تأكيدا لقوله تعالى ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ .

نزلت هذه الرسالة من الله بلغة القوم الذين أراد الله أن يكون منهم ذلك النبي الذي سيبلغ هذه الرسالة للعالم ، ولأن أولئك القوم في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة في لغتهم ، فقد انزل الله هذه الرسالة بلغة عربية نفس اللغة التي يتكلمها أولئك القوم ، الذين أراد الله أن يكون منهم آخر نبى يرسله الله إلى الأنس جميعا ، بل وإلى الجن أيضا ﴿ قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن ﴾ سورة كاملة في القرآن تسمى باسمهم ، لكن أولئك القوم وقد طرقت اسماعهم آيات من تلك الرسالة الإلهية ، وإن كانت كلماتها من جنس الكلام الذي يتكلمونه ، وحروفها نفس الحروف الذي ينطقون بها ، إلا أنهم وقفوا وهم صناع الفصاحة والبلاغة في ذهول مما سمعوه من فصاحة وبيان هذا القرآن الكريم ، حتى اذا أعياهم الأمر قال بعضهم : هذا سحر ، وقال غيرهم : هذه كهانة ، وقال عقلاؤهم وأرباب البيان فيهم ، إنه ليس بسحر ولا كهانة ، ولا هو من قول البشر ، وهذا يعني أن فرسان البلاغة من العرب قد ادركوا تماما بعد ما سمعوا ما سمعوه من آيات الله يتلوها الرسول ومن آمن به أن هذا القرآن ليس من كلام المخلوقين بما فيهم محمد ﷺ وما دام أن المتربعين على قمة اللغة العربية قد أقروا بأن هذا القرآن ليس من قول البشر ، فمن أين جاء أعداء الإسلام ممن لا نصيب لهم في فهم اللغة العربية فضلا عن ادراك ما بها من بلاغة وفصاحة ليقولوا : إن القرآن من كلام محمد ، أو أنه أخذه عن الأمم السابقة ؟ فعن أن القرآن من كلام محمد فقد كفانا اعتراف العرب الذين نزل القرآن بلغتهم بأن القرآن ليس من كلام البشر ، وعن أن محمدا قد اخذه عن بعض أهل

الكتاب ، فالمعروف تاريخيا أن الرسول ﷺ ما كانت له اجتماعات مع أحد من اهل الكتاب حتى يتعلم منه شيئا ، وإنما كان قبل نزول الوحي عليه في غار حراء كان أميا ، لا يعرف القراءة و الكتابة ، ولذا عندما نزل عليه جبريل عليه السلام و لأول مرة بأول سورة من القرآن ، فقال له : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ، كرر ذلك عليه ثلاث مرات وهو يقول له : اقرأ : فيقول له : ما أنا بقارىء ، يعني أنني لا أعرف القراءة ، فقال له : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ... ﴾ [العلق : ١] إلى آخر السورة ، ومع هذا وذاك فالقران الكريم ، أعلن في تحد تام أن العالم كله لم ولن يستطيع مهما حاول أن يأتي بمثله ، تقول الآية القرآنية في هذا : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ ولعلم الله بأن العالم سيفشل فيما لو حاول ذلك فقد خفف التحدي ، فقصره على عشر سور مثله ، اذ تقول الآية الكريمه في ذلك : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) ويصل التحدى إلى نهايته ، بأن يحاولوا أن يأتوا بسورة واحدة فقط ، ولكنهم لا يستطيعون ذلك ، ولنستمع إلى هذه الآية الكريمة وهي تقول : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ وحتى نزيد الآخرين ايضاحا ، بأن القرآن الكريم كتاب من عند الله ، وليس من كلام محمد ولا غيره من البشر ، نورد هنا بعض أمثلة مما ورد فيه من حقائق سابقة أو وقائع لاحقة .

أولا : يقول القرآن الكريم في ذلك : ﴿ ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غليهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾ هذه الآية تتحدث عن أمور سابقة ، ووقائع لاحقة ، فهي تقول إن الفرس قد غلبوا الروم في حرب حدثت بينهما في ارض قريبة من بلاد العرب ، وهذا اخبار عن شيء سابق ، وتستمر الآية فتخبر أن الروم بعد بضع سنين (والبضع ما بين

الثلاث سنين إلى التسع) سيغلبون الفرس ، وقد حدث هذا فعلا وفي نفس المدة المحددة ، وهذا دليل على أن القرآن الكريم كلام الذي يعلم ما كان وما يكون وهو الله .

ثانيا : قول الله سبحانه وتعالى :﴿ حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ﴾ هذه الآية الكريمة ، تخبر بأن يوما من أيام هذه الدنيا سوف تزدهر الأرض بكل الخيرات وتتزين بأشكال الزينات إلى حد يظن الناس معه أنه أصبح في مقدورهم كل شيء ، وعندئذ يأتي أمر الله فيقضي على هذه الزينة وتلك الزخارف ، ولا ندري ما هو نوع الأمر الذي يسبب هذه الكارثة التي ستحل بالعالم ؟ هل هي قيام الساعة ؟ وهي لا تأتي الا بغتة وحدوثها متوقع لأن الرسول عليه كان جالسا مع أصحابه يوما قبيل غروب الشمس فقال لهم : {ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومكم هذا } (حديث حسن. رواه أحمد والترمذي) أو في آلات الخراب والدمار من أسلحة ذرية وغيرها ؟ وربما أفظع فتكا منها مما ستنتجه أدمغة الشر ، سوف تحدث للعالم كارثة قد لا يسلم منها غير القليل من البشر ، وربما هذا وذاك ، ولقد تحقق – والله اعلم – في هذا العصر الجزء الأول من الآية الكريمة بازدهار الصناعة والزراعة وتطور التجارة والعمران ، وغير ذلك مما حصل الإنسان من متع الحياة التي ما كان يعرفها من قبل ، وبعد أن توصل الإنسان إلى ما توصل إليه من اكتشافات ومخترعات وتطور علمي كبير في ميدان الطب وعلوم الفضاء ، وبعد أن أصبح في مقدوره أن يعبر المحيطات بسرعة مذهلة ، ويتصل عن طريق الهاتف في لحظات بأي جزء من العالم ، وأن يسمع وهو جالس في بيته أخبار الدنيا كلها ، ثم وهو ينزل على سطح القمر ، ويغزو أعماق البحار ، ظن أو هو الآن في طريق الظن أنه أصبح في استطاعته التمكن من عمل ما يريده وأن شيئا لن يعجزه ، وهذه هي بداية تحقق الجزء الثاني من الآية ، وهو وقوع الكارثة بالعالم التي تحدثت عنها الآية الكريمة ، وهذا دليل آخر على إعجاز القرآن الكريم وأنه من عند الله وليس من كلام محمد ولا غيره.

عدو الإنسان رقم ١

عدو الإنسان رقم (١) ليس الجهل ولا الفقر ولا المرض ، وإنما هو ذلك الذي بدأت عداوته مع بداية خلق أول إنسان وجد ، انه ابليس ، الذي قال الله عنه محذرا : ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾

كانت بداية اعلان عداوته للإنسان يوم أمر الله الملائكة أن تسجد لأدم فسجدوا إلا ابليس استكبر ولم يسجد له ، ويوم أن قام باغواء آدم وحواء واغراهما بالأكل من الشجرة التي نهاهما الله عن الأكل منها ، زاعما أنه من الناصحين لهما كما حكى الله عن ذلك بقوله تعالى : ﴿ وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إلى لكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما أم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾

ومنذ ذلك الوقت وإلى أن تقوم الساعه ، وهو آخذ على نفسه عهدا ألا تنتهى خصومته مع الإنسان ، وأن يبقى مستمرا في اغوائه ، ودفعه إلى كل ما يضره ، مستعملا ، في ذلك كل وسائل الاغراء ، يقول القرآن الكريم موضحا هذا : ﴿ قال أرأيتك هذا الذي كرمت على لين أخرتن إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلا قليلا ، قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ، واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا ، إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ وقال في سورة الأعراف : ﴿ قال فيا أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ ، ومن هنا يتبين أن مهمة ابليس تقوم على قاعدة أساسية ، هي تدمير الإنسان باخراجه من الإيمان الى الكفر ومن الصلاح إلى الفساد ، ومن الخير إلى الشر . وما حصل ظلم في الأرض ، ولا انتشر فساد ولا اضطهاد بغير حق، ولا تعد على حدود الله ، ولا استعلاء

واستكبار في الأرض إلا بسبب اغواء الشيطان واضلاله ، وما عبدت الأوثان من دون الله ، وما سلك الناس الطريق إلى النار ، إلا بسبب تأثير الشيطان ، وما نشاهده في حياتنا من سوء سلوك وانحطاط أخلاق ، إنما هو من أعمال ذلك العدو ، الذي لا يهدأ له بال إلا بعد أن ينهي مهمته وهي لا تنتهي إلا حيث يصل بالإنسان إلى درجة يستحق عليها العقاب من الله ، وليس من شك في أن العاقل الرشيد هو ذلك الذي يكون له عون من الله لينجو من مكائد هذا الشيطان ومصائبه ، وذلك عن طريق جهاد النفس والزامها بالاستقامة على طاعة الله ومحاولة التخلص من وساوس الشيطان وأوهامه واغرائه ، بالإيمان القوى ، والارادة الصادقة ، واستحضار عظمة الله في القلب في كل لحظة من لحظات الحياة وعند كل اغراء أو وسوسة من الشيطان ، والإنسان وهو يمارس الفساد أيا كان سياسيا ، أو خلقيا ، أو اجتماعيا ، ثم وهو يميل إلى تحقيق رغباته المحرمة من ممارسة جنس غير مشروع ، أو أكل حرام دون وجه حق أو بيع ضمير من أجل الوصول إلى جاه أو مركز ، إنما هو واقع تحت تأثير اغراء الشيطان وإغوائه . وأسلوب الشيطان في الاغراء أسلوب لا يدركه من أول وهلة إلا من نور الله قلوبهم بالإيمان به والخوف منه ، والرجاء فيما عنده ، ولهذا كان هذا الصنف من الناس من أقل البشر استجابة لوسوسة الشيطان ، كما قال الله :﴿ إن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ﴾ ، وما على الإنسان اذا وسوس له الشيطان بفعل محرم ، إلا أن يستعيذ بالله من شره ، فنعوذ بك اللهم من شر الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس

لو كان الإسلام يجمعهم

التمزق الحاصل الآن في الأمة الإسلامية أمر محزن ومؤلم ، والتفرق الكائن بين القادة والزعماء كذلك أمر موجع ومؤسف ، والمخلصون في هذه الأمة بين هذا وذاك لا حول لهم ولا قوة ، والعلماء يقفون في سلبية تامة وكأنهم غير مسؤولين عن ارشاد الحكام وتوجيه المجتمع إلى ما يجب أن يكون عليه المسلمون في حياتهم من تمسك بدينهم واهتمام بشؤون دنياهم ، والبقية الباقية من المجتمعات الإسلامية أشبه ما يكونون بقطعان الماشية يساقون دون ممانعة إلى الميادين القمع المظاهرات ضد الظلم والطغيان ، وإلى الدفاع عن أعضاء الحزب الحاكم ، وسماسرة الجلادين والمستعمرين ، كل ذلك حصل ويحصل في غيبة من العقيدة الإسلامية ، التي من شأنها أن توحد افكارهم ، وتجمع كلمتهم وتربط بين مشاعرهم ، وتقودهم إلى ما فيه خيرهم ولقد اشار القرآن محذرا من عواقب التفرق أيا كان نوعه لأنه لا يؤدي إلى خير أبدا ، يقول القرآن الكريم :﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ فالتفرق في المبادئ والأفكار ، والتفرق في الاتجاهات السياسية ، والتفرق في الآمال والآلام ، والتفرق في النظم الاجتماعية وغيرها وعدم الالتفاف حول عقيدة واحدة مشتركة ، هي عقيدة التوحيد ، كل هذه أمور تمزق كيان الأمة وتقوم على تحطيمها ، ولقد كان الرسول عن صادقا وهو صادق دائما حينما قال : { يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ، قالوا : أعن قلة منا يارسول الله ؟ قال : لا ولكنكم كغثاء السيل ، تنزع المهابة من قلوب غيركم فتجعل في قلوبكم } (رواه أبو داود وحسنه الألباني) ولقد حصل فعلا ما قاله الرسول ﷺ فقد تداعت الأمم على هذه الأمة من كل جانب ، اليهود من جانب ، والنصارى من جانب ، والشيوعيون من جانب ثالث ، أولئك الذين تسلطوا على دار المسلمين فاحتلوها عسكريا وفكريا ، وذلك غالبا ما يكون بمساعدة أناس من أبناء المسلمين أنفسهم ، تأثروا بأفكارهم وسلوكهم فأصبحوا مثلهم وهذا كله حصل والمسلمون ليسوا بقلة فتعدادهم الآن ما يقارب السبعمائة مليون مسلم لكنهم كما أخبر عنهم الرسول عن غثاء كغثاء السيل وذلك

بسبب تخليهم عن العقيدة التي جاء بها الإسلام ، واستبدال تعالمه بأنظمة لا تمت إليه بصلة ، وتعطيل شعائره ، فكان أن أبدلهم الله بعد العز ذلا ، وبعد الأمن خوفا ، وبعد القوة ضعفا ، واصبحوا بعد أن كانوا قادة صاروا في المؤخرة ، وبعد أن كانوا متبوعين صاروا تابعين ، لا نسأل وليس من حقنا أن نسأل : لماذا هذه الهزائم المتلاحقة العسكرية منها والنفسية ، والفكرية ؟ لأن السبب واضح وهو أن تعامل المسلمين مع الله قد تغير ، وما حل بهم هو نتيجة هذا التغير ، ولو كان الإسلام يجمع المسلمين لما حصل هذا التفرق في العقائد والنظم الاجتماعية ، والاتجاهات السياسية ، ولو كان الإسلام يجمعهم لما وصلوا إلى هذا المستوى من التناحر وعدم الاتفاق ، ولما وجدت دولة اليهود على أرضهم تتحدى مشاعر المسلمين في كل مكان ، ولو كان الإسلام يجمعهم لما وصلوا إلى هذه الدرجة من الذلة والمهانة ولما استطاع الأعداء أن يمعنوا فيهم تقتيلا ، وتشريدا ، ونهبا لأوطانهم وثرواتهم ، وصدق الله اذ يقول :
﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾

محمد رسول الله

من أجل أن يفهم الفرد واجبه نحو نفسه ونحو المجتمع الذي يعيش فيه ، ومن أجل أن يجدد علاقته مع ربه ، كان لا بد من سفراء بين الله وبين خلقه يبينون لهم ما يرضيه ، ويوضحون لهم ما يكرهه ، عن طريق الوحي الذي ينزله الله عليهم ، ولهذا السبب اختار الله من خلقه من هيأ نفوسهم لتحمل أعباء الرسالة ، ومن هذه الصفوة الممتازة رسول البشرية كلها محمد عليه فقد أرسل في فترة ، ضل فيها العالم طريق الخير ، وأصبح لا يعرف كيف يتجه ولا أين يسير ؟ فهذه القبيلة تعبد هذا الصنم ، وتلك تخضع لذلك الوثن ، وهذا يعمد إلى حجر فيعبده ، وذاك يقصد إلى شجرة فيتقرب اليها ، نشأ محمد في هذه البيئة يتيما ، فقيرا ، وكان منذ نعومة أظفاره لا يميل إلى تلك العادات التي اتخذها الناس دينا ، بل كانت نفسه تسخر من هذه العادات ، وتمقت تلك الآلهة الهزيلة التي لا تنفع ولا تضر ، وكان هذا كله قبل أن يعلم هو أو يعلم غيره أنه نبي ، من عند الله ، وأن الله سبحانه وتعالى سيحمله رسالة إلى الناس ، كانت نفسه لا تطيق أن ترى هذه الأصنام تقدس ، وتلك الأوثان تعبد ، وتقرب لها القرابين فكان يخرج ﷺ بعيدا عن المدينة إلى حيث يجد الهدوء والطمأنينة النفسية في غار حراء حيث لا صخب ولا حجارة تعبد ، وفي خلوة من خلواته التي قد تدوم أياما ، وفي ساعة صفاء روحى وبينما هو في ذلك الغار ، وبغير مقدمات ، وبلا اشعار سابق ، يحصل شيء غريب جدا ، ملك يهبط عليه من السماء ، بكلام لم يعرفه من قبل ولم يسمع به ، ولم يكن من جنس الكلام الذي يتحدث الناس به ، إنه كلام حلو لذيذ ولكنه غريب عنه ، نزل جبريل إلى محمد ليبلغه نموذجا من الرسالة الخالدة التي سوف يبلغها إلى العالم فقال له : اقرأ فقال ﷺ: ما أنا بقارىء ، فيضمه إلى صدره ضما خفيفا وهكذا يشتد عليه في اللغط ويقول له : اقرأ ، ويكرر هذه العملية ثلاث مرات كما ذكر الرواة ذلك وكل مرة يقول له : اقرأ ، فيقول : ما أنا بقارىء ، ويستجيب بعد ذلك فيقرئه جبريل سورة العلق ويقول له : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم

يعلم ﴾ وهنا يقرأها الرسول عنه، ثم يصعد جبريل، ويتركه مكانه ، وينزل محمد عه من على الجبل في خوف شديد ، ويدخل على زوجته خديجة فيقول : (زملوني زملونى) فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال : يا خديجة مالى ؟ وأخبرها الخبر ، وقال : (قد خشيت على نفسي) فقالت رضي الله عنها : كلا والله لا يخزيك الله أبدا . إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الدهر ، ثم انطلقت به حتى أتت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية ، وكان شيخا قد عمى ، فقالت خديجة : أي ابن عم ، اسمع من ابن اخيك فقال ورقة : ابن أخي ما ترى ؟ فأخبره رسول الله – ﷺ – بما رأى فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى ، ليتني فيها جذع : ليتني حيا حين يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : « أومخرجي هم ؟ فقال ورقة : نعم ، لم يأت رجل بما جئت به إلا عودي ، وإن ادركنى يومك انصرك مؤزرا ، وبعد فترة من الزمن كان ينتظر فيها شيئا مثلما رآه وما سمعه ، ينزل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر ﴾ . وتنفيذا لهذا الأمر الإلهي ، بدأ الرسول ﷺ عن يدعو الناس لعبادة الله ، وترك عبادة الأصنام ، فتثور ثائرة صناديد الكفر ، وتهب في وجه محمد ، انتصارا للالهة المزيفة ، ثم ترعد وتبرق ثم تهدد ، وتتوعد ، لئن لم يكف محمد عن تسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا لنفعلن ما لا تحمد عقباه . ويمضى الرسول ﷺ في طريقه غير ملتفت لما يقولون ، والتف حوله جماعة استجابت لدعوته ، وأخذ أنصاره في الزيادة ، وانتشرت دعوته بين القبائل وأحست قريش بالخطر فدبرت له المكائد ، وتآمرت على قتله ، واتهمته بالسحر ، والجنون ، والكهانة ، فما زاده ذلك إلا رسوخا في ايمانه وتمسكا بمبادىء دعوته ، كما عرضت عليه الملك ، والدنيا حتى يكون من أكثرهم مالا على أن يعدل عن دعوته ، فما كان منه إلا ذلك القسم البار { والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الدين ما تركته أو اهلك دونه }

ولا شك أن رسالة محمد ﷺ رسالة عامة لكل البشرية ، وليست خاصة للعرب كما يزعم بعض المستشرقين ، بدليل قول الله سبحانه وتعالى :﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ لذا جعل الله تعاليم هذه الرسالة شاملة لكل ما يحتاجه الفرد ، يستوى في ذلك من يعيش في قلب الجزيرة العربية ، ومن يسكن في أقاصي المشرق ، أو المغرب ، ولقد شرف الله محمدا ﷺ بهذه الرسالة العالمية ، ليعالج القلوب المريضة ، وليقضي على مظاهر الفساد والطغيان ، وبالتالى ليرسم الخطوط العريضة لحياة ينعم البشر كله في ظلها في أمن وسعادة ورخاء ، ولقد رسم فعلا هذه الخطوط الواضحة ، وكان من الخير للعالم لو آمن بها وسار على نهجها، وعقيدتنا الثابتة في محمد عن أنه رسول كموسى وعيسى وغيرهما من رسل الله، كما صرح بذلك القرآن الكريم ، حين قال :﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ وأنه خاتم النبيين ، كما قال الله :﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ وأنه لا تجوز الاستعاذة به ولا الالتجاء إليه ولا الحلف به ، ولا دعاؤه ولا النذر له ، كما قال الله :﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ .على أننا أيضا نعتقد أن محبة الرسول ﷺ واجبة ، وأن من كمال الايمان أن تكون محبته في نفوسنا تفوق محبتنا ، لأنفسنا ، وابنائنا ، وآبائنا وكل مقومات حياتنا ، وعلامة حبنا له اتباعنا الاوامره ، واجتنابنا لنواهيه كما جاء في آية من كتاب الله :﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ ومادمنا بصدد الحديث عن رسالة هذا النبي الخالد ، فإن كمال البحث في الموضوع يدعونا إلى الحديث ولو بصورة مقتضبة ، عن كيفية نشأته ، أين ولد ؟ ومتى ؟ وما اسم أبيه ، وأمه ؟ وما هي المميزات التي يتميز بها عن قومه قبل ابلاغه بالرسالة ؟ ثم ما هو الدليل الذي نلمسه في عصرنا هذا كبرهان على رسالته ، وكم كان عمره ؟ واخيرا ما هي بعض صفاته التي كان يتحلى بها في حياته بعد الرسالة ؟ واجابة على هذا التساؤل يمكننا أن نقول وباختصار : مولد محمد ﷺ كان في مكة عام الفيل . واسم أبيه عبد الله ، واسم أمه آمنة . مات أبوه وهو حمل ، ثم ماتت أمه بعد أن بلغ السادسة من عمره فأصبح يتيما لأبيه وأمه جميعا ، وكان في هذه المدة تحت كفالة

جده عبد المطلب ، إلا أنه لم يبلغ السابعة من عمره حتى مات جده ، فتولى كفالته عمه أبو طالب حتى اذا أينع أخذ يسعى في طلب رزقه فكان يرعى الغنم مقابل أجر يأخذه عليها حتى اذا نيف على العشرين ، سافر في تجارة الخديجة إلى الشام ، وكأن الله يريد شيئا ينفذه فقد وقع حب الرسول في قلب خديجة بعد عودته من الرحلة فتوعز له بخطبتها فيخطبها ، ثم يصبح زوجا لها ، ومنذ ذلك اليوم عاش في رخاء من العيش ، كما قال الله في سورة الضحى :﴿ ووجدك عائلا فأغني ﴾ . والمميزات التي كان يتميز بها عن قومه ، والتي كان مشهورا بها قبل ابلاغه الرسالة هي :

١ – عدم الإيمان بتلك الأصنام والأوثان ،وكرهه لها واستسخافه بعقول العاكفين حولها .

٢ – الصدق فيما يتحدث به.

٣ – الأمانة اذ كان الناس يلقبونه بالأمين .

عمرﷺ ثلاث وستون سنة ،منها أربعون عاما قبل تبليغ الرسالة ، وثلاثة وعشرون عاما بعد أن بلغ بها.

وأما الصفات التي كان يتصف بها بعد الرسالة ، فالقلم عاجز عن أن يستوفي في تفصيل صفاته ﷺ اذ حياته كلها سجل خالد مليء بكل المعاني الانسانية الكريمة ، وكان من هذه المعاني الكريمة أنه كان ﷺ كثير الخوف من ربه ، رغم أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، متواضعا للناس جميعا ، يواسي الفقير ، ويعطف على الضعيف ، رفيقا إلى أقصى حدود الرفق ، رحيما إلى أبعد حدود الرحمة ، لا يحترم غنيا لغناه ، ولا يتعالى على فقير لفقره ، ولا يغضب إلا اذا انتهكت حرمات الله ، سروره اذا استقام الناس على طاعة الله ، وهمه أن يكون الجميع اخوانا متحابين متآلفين ، ورغبته الصادقة في أن يعيش العالم في أمن وسلام ، أوقف حياته لهداية البشر وأتعب نفسه ليحرر النفوس المستعبدة وقال للناس : {يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن

ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله} فكان هذا في منتهى الإيمان فصلوات الله وسلامه على من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده .

لا تقل لهما أف

من الأمور الهامة ، التي أولاها الإسلام عناية خاصة ، حقوق الوالدين ، اذ أمر الأبناء ، أن يمنحوا آباءهم ، وأمهاتهم ، كل ما يملكونه من عطف ، واحسان وتقدير ، واحترام ، ونهى عن التضجر منهما ، أو اساءة معاملتهما ، وحتى في لهجة الحديث ، وأسلوب الخطاب معهما أمرهم أن يختاروا من القول ألطفه ،ومن الحديث أعذبه ،ومن الأسلوب أرقه وأجمله ، كما أمر الله بذلك في كتابه المجيد ،حيث قال :(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا ،إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ،واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا).

ولأهمية حق الوالدين ، جعل الرسول عله ، برهما في المرتبة الثانية ، من الأمور التي هي من أحب الأعمال إلى الله وهي عبادة الله ، وقدم برهما على الجهاد في سبيل الله ، يدل هذا ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، حيث قال : { سألت رسول الله ﷺ، أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها ، قلت : ثم أي ؟ قال : بر الوالدين ، قلت : ثم أي ؟ قال : الجهاد في سبيل الله} .

غير أن الكثير من الأبناء في هذا العصر ، يجحد ذلك الفضل لوالديه ، وهذا في الواقع يدل بصورة لا تقبل الشك على عدم التوفيق ، وعلى نكران الجميل ، وتناسي ما قدم أولئك الآباء والأمهات ، من بر واحسان ، وما قاسوه من مشقة وعناء ، وأنه من العقوق والله ، ألا يتذكر الأبناء تلك الرحمة التي تفيض بها قلوب الآباء والأمهات وتلك الليالي التي يسهرونها من أجل راحتهم وسعادتهم ، والآلام المريرة التي يقاسونها عندما يصاب أحد منهم بمكروه، إنهم في الحقيقة لو تذكروا هذا وذاك ، وما هو أكبر منه ، كان لا أقل من أن يجازى المعروف بالمعروف ، ويقابل الإحسان بالاحسان .

خرج الرسول ﷺ على أصحابه يوما ، فقال : { يا معشر المسلمين ، إياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجد ريحها عاق } وإن كان من المشاهد أن بعض الآباء ، يكون جافا في معاملته ، وقاسيا في تربيته ، وقد يتجاوز الحدود المعقولة في طريقة تربيته في كثير من الأحيان ، غير أن هذا لا يكون مبررا ، لأن يعامل الأبناء آباءهمبالمثل ، أو يحملهم على تعمد الإساءة إليهم ، وحتى في لهجة الحديث وطريقة التخاطب معهم ، لأن للأب ما يبرر قسوته في بعض الأحيان ، وليس للأبن ما يبرر ذلك لأن الذي نعرفه من أنفسنا ، ومن تجارب حياتنا ، أن الشباب وخاصة في ريعان شبابه ، يعشق الانطلاق دون حدود أو قيود ، ولو كان في ذلك هدم حياته ، وضياع مستقبله ، وفقدان سمعته ، والأب الذي هو أشفق ما يكون على مستقبل أبنائه ، وأحرص ما يكون عليهم في حياتهم ، يريد أن يحد من هذا الانطلاق وأن يوجههم إلى طريق الحياة الكريمة ، فهو يقسو عليهم ، عندما يهملون في واجباتهم تجاه انفسهم ، أو اقاربهم ، أو مجتمعهم والآباء لا يقصدون من وراء قسوتهم هذه ، غير أن يهيئوا الأبنائهم المستقبل السعيد ، والحياة الكريمة ، إلا أن هؤلاء الأبناء قد لا يعرفون أحيانا أن هذه القسوة ، مصدرها الشفقة ، والرحمة ، الشفقة على الأبناء من ضياع مستقبلهم ، والرحمة بهم من أن يصبحوا عالة على المجتمع .

ولا شك أن الأبناء لو فهموا الدوافع التي تحمل الآباء على القسوة في بعض الأحيان لما ترددوا في أن ذلك لمصلحتهم ، ومن أجل مستقبلهم ، ولما قابلوا الاحسان بضده وجحدوا الفضل والمعروف ، الذي لن يقدروا على مجازاته ، والقيام بحقوقه ، مهما قدموا من فعل جميل ، وعمل كريم {لقد جاء رجل إلى الرسول ﷺ ، فقال : يارسول الله : اني حججت بأمي من اليمن ، على ظهري ، وطفت بها البيت ، وسعيت بها بين الصفا والمروة ووقفت بها في عرفات ، ودلفت بها إلى مزدلفة ، ورميت لها الحجار بمنى ، فعلت ذلك كله وأنا أحملها على ظهري ، فهل أديت حقها علي ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا : فقال الرجل : ولم ؟ قال: لأنها فعلت ما

فعلت بك في صغرك ، وهي تتمنى حياتك ، وانت فعلت بها ما فعلت بها وأنت تتمنى موتها} .

مجهود ضخم ذلك العمل الذي قام به ذلك الابن البار ، ومع هذا لم يعتبرو الرسول ﷺ شيئا ، إلى جانب ما تقاسية الأم من متاعب كثيرة من حمل يقلق راحتها ، ووضع يهددها بالموت ، وفوق هذا وذاك ، الرحمة والحنان ، والعطف ، والاحسان ، ومثل الأم الأب ، في العناء ، والمشقة فهو يكد ويغامر بحياته ، ويعمل المستحيل في طلب الرزق ، ثم هناك مشاكل التربية والتعليم ، ومع كل هذا العناء والتعب فإن كثيرا من الأبناء لا يرون هذا شيئا يستحق أن يجازى عليه ، وهذا هو العقوق بعينه ، ونعوذ بالله من العقوق ، ونكران الجميل ، واذا كان الله قد أوجب بر الوالدين على الأبناء في دنيا الناس ، فإنه كذلك قد أوجبه عليهم بعد أن يفارقا الحياة ، {يدل لهذا ما ورد أن رجلا جاء إلى الرسول عليه فقال : يارسول الله : هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ، قال : « نعم ، الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، واكرام صديقهما من بعدهما} هذا ما يجب للآباء ، وماينبغي أن يكون عليه الأبناء.

السعادة

رسالات الأنبياء التي تعاقبت عبر التاريخ الطويل إنما جاءت لترسم للأجيال طريق السعادة في الحياة ، وما بعد الحياة ، ورسالة محمد ﷺ خاتمة الرسالات حددت للبشرية معالم طريق السعادة الأبدية الخالدة وبينت الخط الواضح لطريق الآداب والسلوك ووضعت قانون التعامل ، ونظام المعاملات بين الناس ، كل ذلك من أجل أن يتمتع العالم بلذة الحياة ونعيم الخلود .

غير أن الإنسان مهما توفرت له اسباب الراحة لا يستطيع أبدا أن ينعم بسعادة دائمة ولا أن يعيش في هم لا ينقطع ، لذا فالحياة دائما مد وجزر ، سرور وهم ، غناء وفقر ، عز وذل ، شباب وشيخوخة ، قوة وضعف ، مجموعة من المتناقضات يعيش في جوها كل فرد في هذا العالم مهما كانت منزلته ، فلا الغني مصدر السعادة ولا الجاه والمركز ، ولكن مصدرها الحقيقي الإيمان بالله ، والرضا بما قدره وقضاه ، وفي الإيمان بالله طمأنينة واستقرار ، وفي الرضا بما قدره وقضاه اذعان وتسليم .....وبالمناسبة وما اجمل المناسبة في وقتها ، اسوق هذه القصة القصية كدليل على أن السعادة هي السعادة النفسية ، وليست كما يتصور البعض من الناس آنها توجد حيث يوجد المال .

منذ اعوام قليلة كنت اسكن بين جارين ، احدهما صاحب ثروة كبية ، والآخر لا يملك سوى ما يكسبه من عمله اليومي إن قدر أن يجد عملا لكل يوم من أيامه ، وما أقل ما يكسبه في ذلك اليوم ليسد به رمق زوجته وابنه وابنتيه الصغيرتين ، ورغم هذا المورد القليل فقد كان هو وأسرته في سعادة غامرة ، إذ لا يكاد ينتهي من عمله إلا ويقبل على ابنائه يداعبهم ، ويستمع إلى احاديثهم ويحكي لهم الحكايات التي تطربهم وتدخل السرور إلى نفوسهم ، وكان دائما يحمد الله على ما هو فيه من نعمة ونعيم وكأنه بهذا يملك خزائن الدنيا كلها .

اما صاحبنا الآخر ، فكان في هم دائم وتعب لا ينقطع ، وكان لا يرجع إلى البيت إلا بعد الهزيع الأول من الليل مجهدا ، ينهر هذا ويكيل الشتائم لذاك ، حتى اذا تنفس الصبح أو كاد ، أخذ اغفاءة قصيرة ، ثم قام فزعا كأنما روع في منامه ليبدأ التعب من جديد ، حكاية قصيرة فيها عبرة لمن يبحث عن السعادة.

إن العالم كله أفراده وأسره حكامه وشعوبه الكل ينشد هذه السعادة ويبحث عنها ويعمل من اجلها فالعابد الذي يتعب نفسه في عبادته ينشد السعادة ، والرجل الذي يبحث عن زوجة صالحة هو في الواقع يبحث عن السعادة ، والمرأة التي تتمنى زوجا تعيش تحت رعايته وحمايته انما تنشد السعادة ، وكل المخلوقات تسعى للحصول على هذه السعادة ، إذا فالسعادة هي المطلب الذي يسعى من أجله العالم كله وهو مطلب لن يتحقق إلا حيث يوجد الإيمان بالله ، وعلى هذا فطريق السعادة هو الرضا والتسليم وتفويض الأمر الله ، والاعتقاد الجازم بأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ومن هنا يحس المرء بلذة الحياة ، وبغير هذا لا تكون السعادة حقيقية مهما كانت الأسباب لذلك متوفرة .

العبادة

هذه الارض التي نعيش عليها ، والأشجار التي ننعم بخيراتها ، والزروع التي ناكل من ثمارها ، والأنهار التي نشرب من مائها ما هي إلا من خلق الله الذي أوجدها من لا شيء ، ثم ما هذه السموات بما فيها من كواكب ثابتة ومتحركة وما نشاهده من نهار يعقبه ليل ، وليل يتلوه نهار ، في نظام لا يتغير إلا من صنع الله جلت قدرته ، ثم وهذه الزهور المختلفة الأشكال والالوان ، وهذا الهواء الذي لا نستطيع الحياة دونه ، كل ذلك ما هو إلا دليل لا يقبل الشك على وجود خالق وهو الله وعلى هذا فعبادة البشر يجب أن تكون له وحده ، لا شريك له .

ولقد كانت الرسالات من أولها إلى آخرها تلتقي في نقطة واحدة هي الأمر بعبادة الله سبحانه وتعالى ، وكان الرسل يصرحون بهذا في أقوامهم ويطلبون منهم قبل كل شيء أن تكون عبادتهم لله وحده ، كما حكى عنهم ذلك القران الكريم بقوله : « وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » . (وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) : (وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذولي وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق)

وكذا قال **القرآن على لسان** محمد ﷺ خاتم الأنبياء : (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا .

ولقد اهم الدين بجانب العبادة اهتماما بالغا وفضح تلك الآلهة المزيفة التي لا تنفع ولا تضر فقال في القرآن الكريم : (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وأن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب .

ولم يشدد الله العقاب على أحد مثلما شدد على أولئك الذين يشركون معه أحدا في عبادته ، اذ سجل عليهم الحرمان من نعيم الجنة ، وقرر خلودهم في دار العذاب فقال : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) كما ندد بأفكار الذين يأبون إلا العكوف على ما كان عليه الآباء والأجداد ، وسخر من عبادة ما لا ينفع ، ولا يضر ، وأعلن أن لا شفاعة لمخلوق إلا باذنه ، كما قال : (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وأنه لا يقبل الشفاعة إلا لمن عبده ولم يشرك معه أحدا في عبادته.

إذا فالمشركون لا يغفر الله لهم من ذنوبهم شيئا اذا ماتوا على الشرك ، ولقد كان من المفروض ونحن في عصر العلم أن تزول تلك الرواسب الجاهلية من العقول ، وأن يحل محلها لون من المعرفة الصحيحة ، والفهم السليم لكن عقولا في الشرق وفي الغرب ما تزال تؤمن بعبادة غير الله ، رغم تقدم العقل البشري ، في العلوم والمعارف .

ومما يزيد النفس ألما ، أن أولئك الذين كانوا يعيشون في عصر الجهل والظلام اذا ما اجرينا مقارنة بينهم ، وبين من يعيش في عصر النور ممن يؤمن بتلك الرواسب الخرافية ، نجد أن الذين كانوا يعيشون في عصر الجاهلية ، أرجح عقولا ، وأعمق تفكيرا ، وأوسع أفقا ، من هؤلاء الذين يعيشون في عصرنا ممن يؤمن بهذه الخرافات ، الدليل على هذا قول الله سبحانه وتعالى حكاية عن حالهم : (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون) بمعنى أنهم ما كانوا يعتقدون فيمن يعبدونهم النفع والضر إلا في وقت الرخاء ، أما في حالة الشدة ، وفي الساعات الرهيبة فانهم لا يلجأون إلا إلى الله ، أما هؤلاء الذين يعيشون في عصرنا فانهم يلجأون إلى تلك الأشياء التي يعتقدون أنها تنفع أو تضر عندما يشتد بهم الكرب وفي حالة الضيق الشديد ، وفي الوقت الذي تضيق بالعقل فيه كل الطرق فلا يتذكر سوى الله ، ومن هنا كان عقل الرجل البدائي في هذه الناحية أكثر واقعية من عقل أخيه الذي يعيش فيما يسمى بعصر العلم.

ونظرة عابرة فيما وعد الله به الموحدين ، وما توعد به المشركين تجعلنا نقدر الفرق الهائل بين هؤلاء وأولئك في دنيا الحياة وفي عالم الآخرة فهؤلاء قد انكروا نعمة الله عليهم ، واتجهوا إلى غيره، وعصوه فحق عليهم غضبه ، واستحقوا البعد منه فكان جزاؤهم العذاب الأليم ، أما أولئك فقد اعترفوا بنعمة الله عليهم وامتثلوا لأمره ولم تتجه قلوهم إلا اليه ، فاستحقوا رضا الله والقرب منه ومن استحق رضاء الله فقد فاز بالنعيم الخالد ، والسعادة التي لا نهاية لها ..وفرق آخر وهو أن الله لا يغفر لهم ذنوبهم ، ولا يدخلهم الجنة ، أما أولئك فانهم يدخلون الجنة دون حساب ، هذا اذا لم يكونوا قد أساءوا إلى أنفسهم بارتكاب بعض الذنوب الكبيرة ، كالزنا وشرب الخمر وغيرها من الذنوب التي توعد الله فاعلها بالعقاب ،وهنا نستطيع أن نقسم العالم من ناحية الثواب والعقاب إلى أربعة أقسام :

القسم الأول

الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وهؤلاء هم الذين آمنوا بالله ، وماتوا على التوحيد ولم يرتكبوا ذنوبا كبيرة .

القسم الثاني

الذين آمنوا بالله وماتوا على التوحيد ، غير أنهم كانوا لا يتورعون عن ارتكاب الذنوب الكبيرة ، وماتوا قبل أن يتوبوا إلى الله منها فهؤلاء تحت مشيئة الله إن شاء غفر لهم وهو أهل للمغفرة ، وإن شاء عذبهم على قدر جريمتهم ، ثم أدخلهم الجنة .

القسم الثالث

الذين آمنوا بالله ، وماتوا على التوحيد ، الا أن لهم بعض العثرات الصغيرة فهؤلاء يتجاوز الله عنهم ويدخلهم الجنة دون حساب على هذه الذنوب الصغيرة .

القسم الرابع

المشركون الذين فارقوا الحياة ، وهم يعبدون غير الله ، على أي صورة من صور العبادة ، وعلى أي شكل من أشكالها ، فهؤلاء خالدون مخلدون في النار ، دليل ذلك قول الله سبحانه وتعالى : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) .

وتوضيحا لما نحن بصدده من استحقاق الله لعبادة الخلق ، والكفر بعبادة غيره من المخلوقات بما فيهم الأنبياء والصالحون ، والأولياء ، نقول توضيحا لهذا نستطيع أن نقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

أولا : توحيد الربوبية ،بمعني الإيمان بأن الله هو الخالق لكل ما في الوجود مما نعلمه وما لا نعلمه.

ثانيا : توحيد الأسماء والصفات ، بمعنى الاعتراف بالأسماء والصفات التي أثبتها القرآن الكريم ، أو جاءت في أحاديث الرسول ﷺ .

ثالثا : توحيد الألوهية ، ويسمى (توحيد العبادة) ومعناه الاعتقاد الجازم بأن العبادة لا تصح لغير الله ، وأن الاتجاه في العبادة إلى غيره على أي لون من الألوان أو أي شكل من الأشكال جحود وكفران ، وضلال . كما نقسم الشرك إلى قسمين ، أكبر ، وأصغر ، فالشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة وهو مخرج من الإسلام ، ومثاله أن يتخذ الإنسان من دون الله ندا يحبه كما يحب الله ، ويدعوه كما يدعو الله ، ويطلب منه كما يطلب من الله ، ومثاله أيضا النذر لغير الله ، والذبح لغير الله ، والاستعانة بغير الله ، والتوكل على غير الله ، والذل ، والخضوع والسجود لغير الله ، وما إلى ذلك من الأعمال العبادية التي لا تصح إلا الله وحده ، والتي هي من اختصاصه سبحانه وتعالى كما ذكر ذلك القران اذ قال تعالى : (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) . .

أما الشرك الأصغر فهو كالحلف بغير الله ، وكيسير الرياء ، وقول : هذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، ومالي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ولولا أنت لم يكن كذا وكذا ، وعلى هذا فالحلف بالنبي ، أو الكعبة ، أو غيرهما من المخلوقات شرك ، والتصنع في العبادة واظهار التقى والصلاح ، من أجل المدح والثناء شرك ، وقول مالي إلا الله وأنت شرك ، لقول الرسول ﷺ « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان » الحديث رواه أبو داود بسند صحيح ، والسبب لهذا أن المعطوف بالواو يكون مساويا للمعطوف عليه ، وتسوية المخلوق بالخالق شرك ، بخلاف المعطوف بثم فإن المعطوف بها يكون متراخيا عن المعطوف عليه بمهلة فلا محذور لكونه صار تابعا ، هذا هو التعليل للجواز وعدمه .

ولقد كان عجيبة أن ينصاع بعض الشباب للحكايات الخرافية ، التي يتناقلها الجهال وبسطاء العقول جيلا بعد جيل ، فيصدق بأن الذبح على عتبات الأبواب ، يطرد العفاريت ، وأن تعليق الريال المغربي ، أو غيره من القطع الفضية أو الذهبية أو النحاسية ، أو غيرها من الأشياء التي تعلق في رقاب الأطفال أو البهائم تمنع العين عن الذي تعلق عليه ، وأن الاستعانة بالميت جائزة ، وغير ذلك مما شابهه من خرافات حدثت في الإسلام ، وليست منه لذا فإن من واجب الشباب المثقف ألا يؤمن بهذه الخرافات ، وألا يصدقها.

محاسن الإسلام

في فترات مختلفة من الزمن أرسل الله إلى العالم رسله ليبلغوهم رسالته وليبينوا لهم أمره ونهيه ، حتى لا تبقى الحياة مسرحا للفوضى ، والاضطراب وعدم الاستقرار ، وحتي يؤمن الناس بقيمة وجودهم ، وفائدة خلقهم في هذه الحياة الدنيا ، والدين من حيث هو ضرورة الحياة البشرية ، والأمة التي لا تؤمن بدين أمة كتب عليها أن تعيش في شقاء ، وأن يكون مصيرها إلى شقاء .

والإسلام من بين الأديان كلها هو الذي يلائم البشر ، ويتطور مع الزمن ويجمع بين مصالح الدين والدنيا لذا جعله الله دين الناس جميعا كما قال الله سبحانه وتعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) ولقوله سبحانه : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين).

ومعنى هذا أن أي دين سوى الإسلام لا يكون دينا ، وأن الإسلام قد نسخ كل الأديان ، فلا يهودية ولا نصرانية ولا أي دين آخر سوى هذا الدين القيم الذي ارتضاه الله ، ولن يكون دينا أفضل ولا أضمن لمصلحة عباده مما اختاره هو لعباده والدعامات التي يرتكز عليها هذا الدين خمس :

١- قصر العبادة على الله سبحانه وتعالى دون غيره والاعتراف بأن محمدا رسول من عند الله أرسل إلى البشرية كلها ، يشير إلى الأول من كتاب الله قول الله : (اياك نعبد واياك نستعين) وإلى الثاني قوله سبحانه : (قل يا الله أيها الناس إني رسول اليكم جميعا) وكقوله تعالى : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون).

٢ - المحافظة على أداء الصلوات الخمس كما أمر الله بذلك في قوله : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) .

٣ – اخراج الزكاة المفروضة من أموال الأغنياء إلى الفقراء كما جاء بذلك القرآن الكريم اذ يقول (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) .

٤ – الاقرار بفريضة صيام شهر رمضان وأن صيامه واجب كما قال الله : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون)

٥– الاعتراف بأن الحج فريضة من فرائض الله دليل ذلك قول الله سبحانه : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)

هذه هي الدعامات الخمس التي يقوم عليها الإسلام ، ولقد يعتقد خطأ من يظن أن تعاليم الإسلام تنحصر في هذه الأمور الخمسة ، أو أنه عبارة عن مجموعة عبادات تؤدي في أوقات خاصة ، وعلى هيئة خاصة ، ولإزالة هذه الشبهة أو هذا الظن الذي لا يقوم على مستند صحيح ، ولكي نثبت أن الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة ، وأنه لم يكن كاليهودية والنصرانية في نظرته للحياة نورد بعض الأمثلة التي توضح نظرته إلى الحياة نظرة واقعية وتبين الفرق بين الإسلام وغيره من ناحية الاهتمام بشؤون الحياة .

لقد قام الإسلام لا على التزهيد في الدنيا ، والابتعاد عن مظاهر الحياة ، وترك الدنيا جانبا ، والاقبال على العبادة ، كما تدعو إلى ذلك الديانة المسيحية وغيرها ، وإنما على الأمر الصريح الواضح بالعمل للدين والدنيا معا (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) وما ترك الإسلام جانبا من جوانب الحياة إلا تناوله بالبحث والتدقيق ، ووضع له الحلول العملية الملائمة ومن ذلك وعلى سبيل المثال ما يلي :

١– وضع مبدأ المساواة التامة بين الناس جميعا فلا ترفع ولا استعلاء ، ولا عنصرية ولا قبلية ، وجعل أساس التفاضل بين الناس قائما على مدى ما يتمتع به الفرد من صلاح وتقى بمعنى كلما كان الإنسان مطيعا لله كلما كان أفضل من غيره بصرف النظر عن أي اعتبار من

الاعتبارات الأخرى ، كما صرح بذلك القرآن الكريم بقوله : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

٢ - سن قانونا للاقتصاد لا ضرر فيه ولا اضرار بحيث لا يسمح بالتصرف الطائش الأحمق في المال واعتبر هذا من الإسراف المحرم ، ولم يأمر بالتضييق على النفس فتفقد ما في الحياة من سعادة ونعيم ، نأخذ هذا النظام الاقتصادي من قول الله سبحانه وتعالى : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا).

٣- وضع نظاما للحرب والسلم ، فقد أمر بالاستعداد للعدو وبكل الوسائل الممكنة بالسيف، بالمدفع، بالطائرات ، بالدبابات ، بالقنابل ، بالصواريخ، بالغواصات ، وحتى باللسان والقلم ، كما جاء ذلك في قوله سبحانه : (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) كما أمر باللجوء إلى السلم ، اذا طلب العدو ذلك ودليل هذا من كتاب الله هذه الآية الكريمة :(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) ومن هنا نعلم عدم تساع الإسلام في سفك الدماء ، إلا في الحالات الضرورية القصوى الدفاع عن الدين أو النفس أو المال ، أو العرض ، وكاقامة الحدود على قطاع الطرق ، ومزهقي الأرواح دون حق ذلك من أجل مصلحة المجتمع وأمنه ، واستقرار حياته .

٤ - وضع كذلك نظامة لصيانة دماء الناس وأموالهم من التعدي والطغيان نجد هذا النظام صريحة في قول الله سبحانه وتعالى (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص) وفي قوله سبحانه : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض).

٥ - ووضع إلى جانب هذه الأنظمة نظام الأسرة القائم على أساس العشرة الحسنة والاحترام المتبادل بين الرجل والمرأة ، فقال : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم) .

هذه بعض الأمثلة نوردها لنوضح للذين لا يعلمون ، أن الإسلام بقدر ما اهم بالناحية الروحية ، لم يهمل الناحية المادية بل أعطاها ما تستحقه.

الله موجود ولا شك

توارثنا فيما توارثناه ، قديما من حكم وأقوال العرب الأوائل ، قول حكيم : « **إن البعرة تدل على البعير ، وإن الأثر يدل على المسير ، ارض ذات فجاج ، وسماء ذات أبراج ، إن في الأرض العبرا ، وإن في السماء لخبرا** » قول عظيم يدل على عقل عظيم ، رجل عظيم حقا ذلك الذي أدرك بعقله وفطرته أن الأثر يدل على المسير ، وهذا يعني في نظره أن هذا الكون الذي يراه من أرض وسماء لابدله من خالق أوجده، هذه الحكمة قالها رجل كان يعيش في عصر جاهلي لا يعرف المجهر ولا التحليل العلمي ، لكنه بفطرته البسيطة كان يدرك تماما أن هذه الاشياء التي يراها من حيوان وجماد ونبات لا يمكن أن توجد إلا بموجد لها أما أن تأتي هكذا وعلى هذا النظام في حياة الحيوان والجماد والنبات ، فأمر لا يصدقه عقله .

لكن يأتي في المقابل في عصر نسميه نحن بعصر العلم من يقول : « **إن هذا الكون وجد عن طريق تفاعلات مادية معينة ولذا من وجهة نظره لا يوجد خالق لهذا الكون – وإنما الطبيعة هي التي تتحكم في كل شيء** » ويبقى الإنسان متعجبا بين هاتين العقليتين المتناقضتين التي تثبت احداهما وجود خالق لهذا الكون والأخرى تنكره ، ثم يعود بذاكرته إلى أعماق التاريخ البعيد ، حيث يعيش الناس في جهل تام وسطحية متناهية في التفكير ، ثم ينتقل بها إلى هذا العصر الذي يكاد العلم أن يبلغ أوجه ، والذي تعارف الناس على تسميته بعصر العلم ، ومقارنة غير متعمقة بين عقلية أولئك الذين جعلوا من الاحجار والأشجار آلهة يعبدونها من دون الله جهلا وضلالا يطلبون منها الخير والبركة والرزق والسعادة في وقت الرخاء. حتى اذا ما حاق بهم الخوف ، واشتد بهم الفزع لجأوا إلى الله تدفعهم إلى ذلك فطرتهم يطلبون منه العون وكشف الضر ، حتى اذا ما زال عنهم الخطر عادوا إلى عبادة غير الله ، كما قال الله عنهم في ذلك : (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) وعقلية أولئك الملحدين الذين ينكرون وجود الله تمام الانكار نجد أن أهل الجاهلية الأولى في هذا الموضوع أعقل من الملحدين الماديين وذلك لسبب واضح ، وهو أن أهل الجاهلية

الأولى في وقت الشدة يلجأون إلى الله معترفين بوجوده ، أما هؤلاء الذين يعيشون في عصر النور كما يقال ، فانهم لا يعترفون بوجود الله لا في الرخاء ولا في الشدة ، ولذا فأهل الجاهلية أعقل منهم ، وعلى أي حال فانه لابد لكل مخلوق من خالق ، ولكل موجود من موجد، ولكل صنعة من صانع ، هذا هو منطق العقل ، وهذا هو الذي تدل عليه شواهد الكون كله بدءا من أكبر كوكب في هذه الدنيا إلى الذرة وما هو دون الذرة إن وجد.

وهنا سؤال يطرح نفسه أمام من يرى أن هذا الكون لا خالق له ، يقول هذا السؤال : (**لو أن شخصا ما تاه في أرض جرداء لا ماء فيها و لا مرعى ، ولا أثر فيها الكائن من الكائنات ، وفجاة رأي بناء مشيدا على أفضل ما توصل إليه الفن المعماري ، ولدى تجواله داخل هذا المبنى هاله ما رأه من حسن تنسيق وابداع ، فهذه الثريات الكهربائية الرائعة ، وهذه الأرائك البديعة الصنع ، وتلك الستائر الحريرية ، ثم هناك بركة السباحة ، ومكان الألعاب الرياضية ، إلى جانب الحديقة الكبيرة ذات النوافذ المختلفة** ، يا ترى هل يخطر في بال هذا الشخص أن هذا البناء أوجدته الطبيعة كما يزعمون أم أن ذهنه لا إراديا سوف ينصرف توا إلى التسليم المطلق ، بأن هذا البناء الشامخ كان نتيجة لجهود كبيرة بذلت من قبل مهندسين ، وفنيين رياضيين وكهربائيين ونجارين ومزارعين وحدادين وعمال وغيرهم ؟. الذي لا شك فيه شاء أم أبي ، أن عقله لن يصدق ، بأن هذا البناء اوجدته الطبيعة هكذا وإلا كان محكوما عليه بالجنون ، نفس هذا الشيء يقال بالنسبة لكل ما خلق الله في هذا الكون بأنها لم تخلق نفسها ، وإنما الله سبحانه وتعالى هو الخالق لها .

وشيء آخر نقوله للمنكرين لوجود الله ، وهو أنه منذ أن خلق الله هذا الكون وهو يسير على نظام معين لم يتغير على مدى عمر الكون ، ولم يتبدل فتعاقب الليل والنهار ، وطلوع الشمس دائما من جهة المشرق، وغروبها باستمرار من جهة واحدة هي جهة المغرب ، وحركة الأرض والسماء وسير النجوم في مداراتها المختلفة على نظام ثابت لا يحيد عنه قيد أنملة ، هذه أشياء تدل على أن هذه الحركة الدائبة والثابتة على هذا النظام العجيب إنما كان ذلك بتدبير

من الخالق لهذه الأشياء كلها ، ولو أن الأمر كان على حسب ما يعتقده الماديون الملحدون من أن هذه الكواكب وجدت بالصدفة لحدث في أي من أيام الدنيا خلل في هذا النظام الكوني ، لكن ذلك لم يحدث أبدا فما حصل أن طلعت الشمس من جهة الغرب مثلا ، ولا حصل أن غربت الشمس في المشرق ابدا ، ولم يقل أحد من علماء الفلك أن نجما واحدا تغير عن مساره الذي اراده الله له منذ أن أوجده الله في هذا الكون الفسيح وبعد ، فلنقرأ معا ، قول الله سبحانه وتعالى : (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)

مسؤولية الحاكم

جرت سنة الله في الحياة أنه لا يستتب في العالم نظام ولا يستقر له قرار إلا بوجود حكام يشرفون على شؤون الحياة العامة بمختلف أشكالها ، وإلا صارت الحياة فوضى ، لا ضابط لها ولا سعادة فيها .

واذا ما أراد الله اسعاد أمة من الأمم يسر لها حاكما يسهر على مصالحها ، ويقيم ميزان العدالة بين أفرادها.

وعلى ضوء ما جاء في الشريعة ، فإن طاعة الحاكم واجبة ، كما قال الله سبحانه وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) إلا أن هذه الآية الكريمة ليست على اطلاقها ، وقد جاء في الحديث عن عمر أن النبي ﷺ قال : « على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ".

ولاهتمام الإسلام بأن تسود روح الطاعة جميع الأمة اعتبر الرسول ﷺطاعة ولي الأمر من طاعة الله وطاعة رسوله ، وعصيان الأمير عصيانا لله ورسوله ، يقول أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « من اطاعني فقد اطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني ، وعلى هذا فطاعة الحاكم واجبة اذا لم تخالف تعاليم الدين .

كما أن نصحه واجب لقول الرسول ﷺ : « الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، قلنا : لمن يارسول الله قال : والله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ".

وليحذر الحاكم من غش الأمة أو الاحتجاب دونها ، فقد جاء في المعنى الأول قول الرسول ﷺ في حديث متفق على صحته : « ما من عبد يسترعيه الله على رعيته فيموت وهو غاش الرعيته إلا حرم الله عليه الجنة ، ويشير إلى المعنى الثاني قول الرسول أيضا : « من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة" .

وبتحقيق العدالة الاجتماعية يكون الحاكم من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه" .

وبعدم تحقيق العدالة الاجتماعية أو التعدي على الناس في اموالهم ، أو دمائهم بغير حق توجبه الشريعة ،أو الاهمال في حقوق الرعية ، يكون الحاكم بذلك قد تعرض المسؤولية هي اخطر ما تكون.

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الحكام كغيرهم يخطئون كما يخطيء غيرهم ، وتلتبس عليهم الأمور في كثير من الأحيان كما تلتبس على غيرهم ، ويجهلون الكثير من أحوال الأمة ، وينقل اليهم كثير من الأشياء على غير حقيقتها ، لذا فمن واجب الأمة أن توضح لهم كل دقيقة وجليلة ، ليكونوا على بينة من كل مشاكل المجتمع وما يحدث فيه ، ومن واجبهم كأصحاب أمانة ثقيلة ،ومسؤولية كبرى أن يقبلوا النصح والتوجيه.

ولأجل ألا يقع الحاكم في حرج أمام مسؤولية الله ، فانه يجب عليه حينئذ أن يراقب الله في كل عمل يعمله ، وأن يكون المثل الأعلى في سلوكه وتصرفاته ، وأن يوقف حياته لاقامة العدل ونشر الفضيلة ، وهذا ما يجب أن يكون عليه الحاكم في الإسلام ، صلاح وتقوى ، عدل ومساواة ، تواضع ورحمة .

ورحم الله أبا بكر رضي الله عنه اذ يقول في خطبته الأولى بعد توليه الخلافة :(إن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسددوني) ورحم الله ايضا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حيث كان يخطب في جماهير المسلمين فيقوم واحد منهم ليقول : (اتق الله يا أمير

المؤمنين) فقال احد الجالسين : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ ، فنهره عمر واسكته وقال له : « نعم ما قال ، لا خير فيكم اذا لم تقولوها ، ولا خير فينا اذا لم نسمعها ، أي والله ، لا خير فينا اذا لم نقلها ولا خير فيهم اذا لم يسمعوها .

كلنا رجال دين

استوردنا فيما استوردناه من كلمات كلمة (رجال دين) هذه الكلمة يبدو- والله أعلم- أنها لم تستعمل إلا بعد أن انفصلت الكنيسة عن الحياة الاجتماعية العامة ، وانقطع رجالها للعبادة على اعتبار أن الدين شيء ، وأن أمور الحياة شيء آخر إلا أنه إن صح هذا بالنسبة للديانات الأخرى ، فلن يصح ذلك بالنسبة للاسلام الذي نظم كل شؤون الحياة ، ووضع القواعد العامة لما يمكن أن يحدث من تغيرات في دنيا البشر ، وقال فيما قال :(اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا وأعمل لأخرتك كأنك تموت غدا.)

وعلى هذا فليس لكلمة رجال الدين مكان في عالم المسلمين ، وليس من حقنا أن نعترف بها طالما نحن مؤمنون بأن الإسلام يأمر المسلمين جميعا بأن يكونوا رجال دين ودنيا في وقت واحد ، فالعامل في المصنع والمزارع في الحقل ، والمهندس في المنجم ، والطيار في قلب الفضاء ، وربان السفينة في وسط البحر والعابد في محرابه ، والقاضي في محكمته ، والعالم في مكان تعليمه ، كل هؤلاء يقال لهم رجال دين ، يعني أنهم متدينون إذا استقامت أحوالهم ، وقاموا بما أوجبه الله عليهم .

ومن هنا نعلم أن تسمية جماعة خاصة من الناس برجال الدين خطأ وأن الإسلام لا يعترف بهذه التسمية ، وبدلا من أن نقول لهم رجال الدين ، نقول لهم علماء الدين ، علماء الشريعة ، مثلا ، لأننا أمة مسلمة لا تؤمن بكهنة ولا كهنوت ولا رجال مسجد ، ورجال سياسة ، ولأن ديننا يجمع بين عالم الروح وعالم المادة

وعلى هذا فإن الدين الإسلامي لم يترك جانبا من جوانب الحياة سياسية كانت أو غيرها إلا تناولها بالبحث ، فمحاولة فصل الدين عن أمور الحياة وتخصيص جماعة تسمى برجال الدين خطأ ، لما وراء هذه الكلمة من معان قد تتجسد في المستقبل إلى واقع عملي ، نتيجة لتقبل الأذهان بأن في الإسلام شيئا اسمه رجال دين ، والإسلام في الواقع لا يعترف بشيئ من هذا فكل المسلمين في نظر الإسلام اسمهم مسلمون ، وليس الطائفة معينة وصاية على الدين ، بل

كل فرد من أفراد المسلمين عليه واجب الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه ، فلتلغ كلمة رجال الدين بالنسبة النا نحن المسلمين لأنه لا مكان لها في واقع الإسلام .

الأخلاق لا المال

كان من عادة العرب قبل مجيء الإسلام التفاخر بالآباء والأجداد والتباهي بالأموال والأولاد ،والتعالي بالأحساب والأنساب مما جعل الزواج من أصحاب المهن والصناعات عارا تعاب به القبيلة وما زال الأمر هكذا إلى أن جاء الإسلام فأمر بازالة الفوارق ، والغاء كل العصبيات ،وقرر بدل هذه الأمور التي لا تتفق مع طبيعة الحياة الإنسانية مبدأ المساواة بين الناس فقال ﷺ: « الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ،ولا لعجمي على عربي ،ولا لغني على فقير ولا لشريف على وضيع ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ، الناس من آدم وآدم من تراب ، فلم يعتبر الإسلام الجنس ولا المال ولا على النسب ولا لون البشرة – لم يعتبر الإسلام هذه الأمور كلها شيئا له قيمته في الحياة الزوجية ،وإنما اعتبر شيئين فقط الدين والأمانة .واذا اتاكم من ترضون دينه وامانته فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» حديث من أحاديث الرسول ﷺ.

ولقد صدق ﷺ فيما اخبر به من حدوث الفتنة اذا منع الكفؤ من التزويج ، فكم من فتاة وقعت في شباك الجريمة لان وليها لا يريد تزويجها خوفا من أن يأخذ ذلك الزوج شيئا من ثروته بعد أن يموت ، أو لأنه لا يجب أن يزوجها إلا من غني أو صاحب وظيفة عالية ، والذنب في هذا الانحراف الخلقي ذنب وليها لأنه هو الذي حرمها من الحياة الزوجية الكريمة ، ولهذا السبب ولأجل ألا تنحرف اخلاق الفتاة وأن تبقى شريفة ، أمر رسول الله ﷺ بتزويج الكفؤ في الدين والأمانة لأنه بالدين تصلح النفوس وبالأمانة تصلح الأسر فالدين يهذب النفوس ويقوم الأخلاق ويمنع صاحبه من الظلم والحيف والعدوان ويحمله على العشرة الحسنة والمعاملة الطيبة والاستقامة في الحياة ، والأمانة تحفظ الأموال والأعراض وتصون الشرف والكرامة ، وتجعل الإنسان بعيدا عن كل ما يدنس عرضه أو يؤثر على سمعته ، إلا أن كثيرا من الناس لا يهمه دين أو أمانة لا يسأل عن . شرف أو مروءة ، وإنما كل همه أن يجد صاحب مال كثير أو وظيفة كبيرة ، ثم ما عليه بعد ذلك صلحت الأسرة أو فسدت ،

تمسكت بالعفاف أو غرقت في بحر من الفساد ، وهذا بلاشك يجعل الإنسان عرضة لمسؤولية خطيرة ، كما قال ﷺ : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) فاذا زوج الولي ابنته أو أخته أو قريته أو من كل عليها من يعلم أنه منحدر الأخلاق ساقط المروءة فانه يكون مسؤولا امام الله عن هذا التصرف الخاطيء الذي قد يكون سببا في فساد تلك المرأة نفسها فليتق الله الأولياء وليختاروا الأزواج الصالحين الذين يتحلون بالأخلاق العالية ويترفعون عن العادات الذميمة ، وإلا فانهم سوف يتحملون النتائج السيئة وسوف يندمون ولات ساعة مندم .

كتب مسمومة

الكتب الإلحادية والمجلات الخليعة التي غزت الأسواق وغصت بها المكتبات وشغلت بها افكار الكثير من الشباب كتب ألفت لهدف معين هو التشكيك في الديانات السماوية ، واعتبارها خرافة من الخرافات ، ومهزلة من مهازل العقول التي لم تعد صالحة لأن تعيش في هذا العصر المتحضر ، ولا شك أن هذه الكتب قد أثرت تأثيرا كبيرا في عقول النشء وعقيدته ، وفي أخلاقه وأفكاره. وخوفا على البقية الباقية من الشباب الذي ما زال يحتفظ في نفسه بجانب من الخير ، وقسط من الأيمان بالله ، نقول : **إن الشباب في حاجة إلى حماية من هذه السموم التي تعبث بعقولهم ، وتفسد ما صلح من أمرهم ، وتوقعهم في شك من دينهم ، وبالتالي تتركهم بلا عقيدة ، والشباب هنا ما يزال بخير ، والعاطفة الروحية ما تزال تضيء جوانب نفسه ، والسيل المتدفق من هذه الكتب التي تفيض بها اكثر المكتبات لا تقل في خطورتها عن الوباء الذي ينتشر ليقضي على أرواح الناس.**

وليس معنى هذا أننا لا نريد للشباب أن يمارس حقه في حرية القراءة ، وأننا نقصد حرمانهم من التزود بالثقافة العالمية ، لا هذا ولا ذاك ، وإنما نقصد حماية عقائدهم واخلاقهم من هذه المؤامرة التي وضع مخططها أعداء الدين بطرق مدروسة ، وعلى اسس نفسية وعلمية .

ولقد حكى لي بعض الأصدقاء أن الجماعات التبشيرية بعد أن قضت مدة طويلة دون أن تستطيع اخراج المسلم عن دينه عقدت مؤتمرا انتهى فيه قرارها إلى أنه لابد من وسيلة أخرى تقوم إلى جانب المدارس التبشيرية والملاجىء ، والمستشفيات التي تقام لهذا الغرض ، هذه الوسيلة هي تأليف كتب هدفها التشكيك في الإسلام وفي تعاليمه ، ولم يكن نصيبهم من الفشل كبيرا ، فقد نجحوا في استمالة بعض الشباب إلى ما يدعون اليه من كفر وإلحاد

ومن أجل هذا نقول : إن تحريم الدولة لجلب الأدوية الضارة بصحة الأمة واجب .. وأوجب منه حماية عقيدة المجتمع من تلك الكتب والمجلات التي ما كان الغرض منها إلا

هدم العقائد ، إن هذه الكتب الإلحادية لا تقل في خطورة غزوها للقلب عن خطورة الاساطيل التي تنقض على البلاد لتنهب وتسلب وتبيح وتستبيح.

وما أظن أن مواطنا ما يحس بعاطفة نحو وطنه يرضى بأن يقف موقف المتفرج على غزو يهدد كيان وطنه كما لا أظن أيضا أن مواطنا يحب الخير لوطنه يرى كتبا مسمومة تلعب بعقول أبناء بلاده ثم لا يحاول صد هذا الغزو الفكري عن اخوانه وأبناء وطنه بكل الوسائل الممكنة.

وليست الدولة في نظري هي المسؤولة الوحيدة عن محاربة مثل هذه الكتب والمجلات ، وإنما كل فرد من أفراد الأمة عليه حماية وطنه من كل ما يجلب الضرر سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو غيرها ، فالضرر من حيث هو ضرر فيه افساد وهدم وتخريب ، وهدم العقائد وافساد الأخلاق هو بداية انحلال الأمة وانحدارها إلى مستوى من الحياة يوصلها في النهاية إلى الخراب والدمار .

للمسلم على أخيه حقوق

الإسلام رابطة مقدسة بين المسلم والمسلم توحد بين مشاعرهم وتجمع بين قلوبهم ، وتلغي الفوارق فيما بينهم ، فلا عنصرية ولا قبلية ، ولكن اخوة في الإسلام بينهم رابطة أقوى من رابطة اللغة والدم.

ومن المبادى الهامة في الإسلام ، كون الجماعة الإسلامية ، وحدة متماسكة البناء ،قوية الأركان ،منيعة الجانب ، لا يطمع أحد في هدم أركانها أو تقويض بنائها ، أو احداث القلق والاضطراب بين لبناتها القوية المتماسكة

وصيانة لهذه الوحدة ، من أن يتسرب اليها الضعف ، أو يتطرق اليها نوع من التفكك أو الخلل ، وحرصا على أن تظل روابط الأخوة باقية ما بقي الزمن أمر الإسلام بالتعاون ، والتراحم ، والاحسان ، يشير إلى هذا قول الرسول ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى ، والسهر» وقوله ﷺ:« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا "

ولأجل بناء مجتمع صالح ، وارساء قواعد اخوة صادقة ، يجب أن يكون التعاون شعار الأمة بأجمعها بحيث يتعاون الأفراد ، والجماعات كل في محيطه وفي حدود اختصاصه ومقدار ما يعرفه ، كما قال الله سبحانه وتعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) ولكي لا يصاب بناء المجتمع بشيء من التفكك أوجب الإسلام للمسلم حقوقا على أخيه فنهى المسلم أن يعتدي على مال أخيه المسلم ، أو عرضه ، أو دمه أو يتكبر عليه ، أو يخذله ، أو يثير حقده ، كما قال الرسول ﷺ: « لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ولا يكذبه ، ولا يحقره ، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات -

بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه "

وأمر بدفع الضرر عن المسلم ، في ماله ، أو نفسه أو أي شأن من شؤون حياته ، يشير إلى هذا قول الرسول ﷺ : « من ضار مسلما ضاره الله ، ومن شاق مسلما شق الله عليه "

وحينما ننظر إلى الدين ، نجد أنه كثيرا ما حرص على أن تظل هذه الروابط الإسلامية قائمة بين أفراد المجتمع ، فأمر المسلم ، اذا لقي اخاه سلم عليه واذا دعاه أجاب دعوته ، واذا رآه منحرفا في سلوكه نصحه ، واذا رآه بائسا أغاثه ، واذا احس أنه معسر أعانه ، واذا علم أنه مريض عاده ، وخوفا من أن يدخل الشك إلى نفس المسلم ، نهى الاسلام اذا كان ثلاثة في مجلس ألا يتناجي اثنان منهما دون الثالث ، فقال ﷺ : «اذ كنتم ثلاثة فلا يتناجي اثنان دون الآخر ، حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه "

كما نهى أن يهجر المسلم أخاه فوق ثلاث ، كل ذلك من أجل أن تظل القلوب صافية وتبقى الروابط متينة ، لا تؤثر فيها حوادث الأيام وتقلبات الزمن فقال ﷺ في حديث متفق عليه رواه أبو أيوب الأنصاري : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام "

ولقد كان وعد من الله ، أن يخفف يوم القيامة الكرب ، عمن خفف عن أخيه المسلم كربة من كرب الدنيا ، ويستر من يستره ، ويعين من يعينه وذلك اذ يقول ﷺ في حديث رواه الامام مسلم : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه "

وعلى العموم فإن من تمام الإيمان ، ومن واجب الأخوة في الإسلام ، أن يحب المسلم لأخيه ما يحبه لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لنفسه ، والأخ في الإسلام هو كل من شهد أن لا إله إلا

الله ، وأن محمدا رسول الله ، في أي مكان كان ، ومن أي جنس يكون ، ومن حق المسلم على أخيه المسلم ، مشاركته في الآمال والآلام ، في السراء والضراء ، وليس من الاخوة في الإسلام ، التعرض للمسلم بأي لون من الوان الأذي .

ومن واجب المسلمين جميعا أن يكونوا اخوة فيما بينهم ، متآلفين ، متراحمين يرحم كبيرهم صغيرهم ، ويوقر صغيرهم كبيرهم ، ويعطف غنيهم على فقيرهم .

وهنا وحيث توجد هذه المعاني الانسانية في النفوس ، يوجد المجتمع الصالح الذي يستحق أن يحيا حياة كريمة ، وأن يعيش أفراده في جو من المحبة والإخاء ، وهذا ما يهدف اليه الإسلام من أوامره ، التي توجب على المسلم أن يرعى حقوق اخوانه المسلمين ، ويكون لهم كالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

والخلاصة أن الإسلام آخي بين المسلمين ، صغيرهم ، وكبيرهم ، غنيهم ، وفقيرهم ، وساوى بينهم في الحقوق والواجبات ، وعمل على محو الفوارق بينهم فلا عنصرية ولا قبلية ، ولا عجمي ، ولا أحمر ولا أسود ، وإنما اخوة مسلمون يجمعهم الإسلام تحت علم واحد هو علم التوحيد.

أصحاب محمد الأخيار

كما اختار الله لآخر رسالاته إلى الأرض محمدا ﷺ ، اختار لصحبته رجالا ، لم يشهد العالم منذ ذلك الحين إلى هذا العصر مثلهم ، ولم يتحدث التاريخ عن جماعة أقامت العدل والانصاف مثل هذه الصفوة المختارة ، وأكبر الظن أنه لا يمكن مستقبلا من يكون مثلهم في سمو الأخلاق ، ونزاهة الضمير ، وصفاء النفس ، والتضحية في سبيل المبدأ والعقيدة .

لقد بذلوا أرواحهم للذود عن الرسول ﷺ ودعوته ، وأنفقوا أموالهم رخيصة في سبيل الحق وطريق الخير ، لذا كان لهم من الفضل ما ليس لغيرهم ، بسبب سبقهم إلى الإسلام وصحبتهم للرسول ﷺ ، ومن أجل هذا قال الرسول ﷺ « لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » . إن مواقفهم الخالدة ، وأعمالهم المجيدة ، توجب علينا محبتهم والترضي عنهم ، واحترامهم والدعاء لهم.

والأمثلة الحية التي سجلها التاريخ لهم ، والتي هي بحق المثل الأعلى للانسان الكامل تثبت للعالم ، أن قرن أصحاب محمد ﷺ خير القرون ، يؤكد هذا قول الرسول ﷺ: « خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ".

ونحب أن نورد هنا بعض الأمثلة كنموذج يوضح جانبا من جوانب الحياة لدى أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ويبين ما لهم من فضل ، وما قاموا به من تضحية من أجل دين الله .

فهذا أبو بكر يقول عنه رسول الله ﷺ : « ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر » دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فما توقف ولا تردد وأنفق أمواله في تأليف القلوب ، وتحرير الرقاب ونشر الاسلام.

وكان أول من صلى مع النبيﷺ ، وآخر من صلى به ، وكان رضي الله عنه مشهورا بسبقه إلى مكارم الأخلاق يوضح هذا حديث جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « أمرنا رسول الله أن نتصدق ، ووافق ذلك عندى مالا ، فقلت اليوم أسبق أبا بكر ، إن سبقته يوما ، قال فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله ، وأتي أبو بكر بكل ما عنده ، فقال : يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟ فقال أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أسبقه إلى شئ أبدأ » رواه الترمذي وأبو داود .

وهذا عمر بن الخطاب يقول عنه رسول الله ﷺ: « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فان يك في أمتي أحد فعمر » والمحدث بفتح الدال وتشديدها ، (أي الملهم) ولقد شهد له الرسول ﷺ بالجنة ، حيث قال أنس : قال رسول الله ﷺ : (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين) رواه الترمذي ، ووصفهما بالكهولة باعتبار ما كانا عليه في الدنيا حال التكلم بهذا الحديث ، وإلا فلا كهول ولا عجائز في الجنة ، بل رجال في غاية الفتوة ، وفتيات في ريعان الشباب .

ثم هو ذا يضرب المثل في الشعور بالمسؤولية والتواضع ، وضبط النفس ، كان هو الخليفة للمسلمين وفي ليلة من لياليه التفقدية لأحوالهم يمر بامرأة ، وقدر منصوب على نار ، وصبيين يبكيان من الجوع، وقف عمر فسلم ، فردت المرأة السلام فاستأذن في أن يدنو قليلا منها فأذنت ، فدنا ، قال لها : ما بالكم ؟ قالت : قصر بنا الليل والبد قال : وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : الجوع قال : وأي شي في هذا القدر ؟ قالت : ماء أسكنهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر ، فقال : أي رحمك الله وما يدري عمر بكم ؟ فقالت : يتولى أمورنا ثم يغفل عنا.

وهنا يقوم عمر رضي الله عنه ، ويحمل الدقيق على كتفه ، ثم يأتي إلى المرأة ويقول : ذرى على وعمر يحرك الدقيق في القدر ، وينفخ على الحطب والدخان يخرج من خلال لحيته ، حتى

نضج الأكل ، ثم ينزل القدر ، ويضعه في الصحفة ، ويقول للمرأة : أطعميهم ، وأنا أسطح لهم (أبرد لهم الأكل) ولم يزل هكذا حتى شبعوا ، وهي تقول : جزاك الله خيرا ، لقد كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين .

ثم هذا عثمان رضي الله عنه يبشره رسول الله ﷺ بالجنة وهو ما يزال على قيد الحياة ، يقول أبو موسى الأشعري في حديث متفق عليه : « كنت مع النبي عل في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح فقال النبي ﷺ : افتح له ، وبشره بالجنة ، ففتحت له فإذا أبو بكر ، فبشرته بما قال رسول الله ، فحمد الله ، ثم جاء رجل فاستفتح ، فقال رسول الله ﷺ : افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فإذا هو عمر ، فأخبرته بما قال النبي ﷺ ، فحمد الله ، ثم استفتح رجل فقال لي : افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه ، فإذا عثمان ، فأخبرته بما قال ، فحمد الله ثم قال : الله المستعان "

لقد كان عثمان رضي الله عنه لا يحسب للمال حسابا في الدفاع عن دعوة الاسلام ، وفي الاحسان إلى المعوزين ، والمحتاجين ، وهذان مثلان يوضحان هذا الجانب الإنساني من حياته .

أولا : يقول عبد الرحمن بن حباب شهدت النبي ﷺ ، وهو يحث على جيش العسرة فقام عثمان فقال : يا رسول الله على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش ، فقام عثمان فقال : على مائتا بعير وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض ، فقام عثمان فقال : على ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، فرأيت رسول الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول : (ما على عثمان ما عمل بعد هذه ، ما على عثمان ما عمل بعد هذه) الحديث رواه الترمذى .

ثانيا : وفي زمن مجاعة يمر بالمدينة ، فيأتيه ألف بعير من الشام تحمل طعاما ، ويسرع إليه تجار المدينة لشرائه ، فقال رضي الله عنه : كم تربحوني ؟ فقالوا : الدرهم بدرهمين فقال : قد أعطيت زيادة ، فقالوا : أربعة ، قال : قد أعطيت زيادة ، قالوا : خمسة ، فقال : قد زادوني :

فقال النجار : ليس في المدينة تجار غيرنا وما سبقنا إليك أحد ، فمن ذا الذي أعطاك ؟ قال : إن الله أعطاني بكل درهم عشرة فهل عندكم زيادة ؟ قالوا : لا ... قال : فأشهدكم معشر التجار إنها صدقة على فقراء المدينة ، وتصدق بالأحمال جميعا .

مثلان رائعان حقا ثلاثمائة بعير بأحلاسها ، وأقتابها في ذلك العصر تساوي في عصرنا هذا ثلاثمائة مدرعة بأسلحتها ، وحمولة ألف بعير من الأرزاق المختلفة في ذلك الوقت تساوى في وقتنا أكثر من حمولة ألف سيارة.

وهذا علي رضي الله عنه يقول له رسول الله ﷺ في حديث متفق على صحته (أنت مني بمنزلة هارون من موسي إلا أنه لا نبي بعدي) ثم ها هو رضي الله عنه يعرض نفسه لأخطر مؤامرة كانت تدبر للرسول ﷺ وذلك أن المشركين تآمروا على قتل الرسول ﷺ فيقدم على الخطر الرهيب ،وينام على فراش نبي الله ليقتله المشركون بدلا من محمد ،ولكن الله الذي حفظ نبيه ،لم يترك الفرصة لأعدائه لينالوا من علي شيئا فكانت معجزة لهذا الصحابي الجليل أن يقدم روحه فداء للرسول ، وكان رضي الله عنه قد وضع في حسابه أنه سوف يموت .

ومع هذه المفاخر وبعد هذه المعاني الانسانية التي يتحلى بها أصحاب رسول الله ﷺ فان الحقيقة التي ينبغي أن ترسخ في الأذهان دائما هي أن أصحاب محمد لم يأت مثلهم ، وأثنى الله على الأنصار بالكرم ، وسماحة النفس ، والبعد عن الحقد ، والحسد ، والمحبة الصادقة لاخوانهم المهاجرين ، وبالإيثار حتى في وقت الحاجة القصوى ، وهذه مزية قلما توجد عند غيرهم كما قال الله سبحانه وتعالى : (والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) كما بين صدق ايمان المهاجرين ، وانهم تركوا أموالهم وأوطانهم ابتغاء رضوان الله ، وذلك اذ يقول الله : (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)

وخلاصة القول : أن هذه الجماعة الطاهرة ، قد وعدها الله ومن سار على نهجها بالخلود في النعيم ، وذلك حينما يقول القرآن الكريم : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)

لا تقل إني شاب

أخي الشاب ، عندما تعلم كيف كنت ، ثم ما ستكون اليه ، تدرك جيدا أن لكل شيء نهاية . وأن شيئا غير الله لن يدوم ، وأن الشباب مآله إلى الشيخوخة وأن الصحة يعقبها مرض ، والسعادة تقارنها شقاوة ، وأن الحياة الدنيا لها نهاية هي الموت ، وأن الأجل لكل كائن أمر غيبي لا يعلمه إلا الله ، وأنك سوف تلقى الله بكل أعمالك في الدنيا إن كانت خيرا أو شرا ، إن كانت صلاحا أو فسادا ، أقول : عندما تعلم هذا وتعلم أنك منذ مدة من الزمن لم تكن شيئا مذكورا ثم شاء الله أن تكون من سلالة من طين ، ثم نطفة في قرار مكين ، ثم تحولت من نطفة إلى علقة ، ثم من علقة إلى مضغة (قطعة من لحم) ثم من هذه المضغة إلى عظام ، ثم كسا الله هذه العظام لحما ، ثم أنشأك الله خلقا آخر ، فكنت هذا الانسان العاقل المفكر ، تخرج إلى الدنيا صغيرا في عقلك وجسمك وتفكيك ، ثم تبدأ في النمو تكبر وتكبر ثم تقوى وتقوى حتى تصل إلى النهاية فتبدأ بالانحدار شيئا فشيئا إلى أن تعود صغير العقل والجسم والتفكير ، وهكذا إن طالت بك الحياة ، أما إذا انتهي بك الأجل قبل أن يدركك الهرم فهذا شيء إلى الله ، لأنه ما من أحد يعلم متى يموت إلا من بيده مفاتيح الغيب ، لكننا نشاهد الموت وهو يقتطف الشيوخ والشباب ، وحتى من هم في بطون أمهاتهم قبل أن يروا هذه الدنيا ، وتلك سنة الله وأمره في خلقه ، هذا يموت وعمره مائة وخمسون عاما ، وهذا يأتيه الأجل وعمره خمسة وعشرون عاما ، وثالث يموت في مهده ، وهكذا آجال محددة ليس في مقدور البشر تجاوزها ، حتى الجماد والنبات بل وكل المخلوقات لها آجال محددة تفني عند نهايتها ، فلا تقل إني شاب وسأتوب إلى الله من كل الذنوب عندما أكون شيخا ، فما يدريك أنك ستبلغ سن الشيخوخة ؟ ألم يمر عليك أن مات أحد من أقاربك أو معارفك وهو بعد لما يتجاوز السنة أو ما هو دون السنة ؟ إذا من يكفل لك البقاء إلى السن التي رسمت لنفسك أن تتوب إلى الله من ذنوبك عندما تبلغها ، وأنت تقرأ هذه السطور القصيرة ، هل تضمن لنفسك أن تكمل قراءتها قبل أن ينتهي بك الأجل ؟ لاتعرف ابدا ولا أعرف ولا أحد يعرف ، لأن نهاية الحياة تأتي في كثير من الحالات في أقل من لحظة واحدة ، عهد الانسان بنفسه يتكلم فاذا هو في عداد الأموات من أجل هذا أقول : لا تقل إني شاب وفترة الحياة طويلة ، ولكن تذكر دائما ذلك

القول الحكيم : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، فاذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وتأكد أنك مهدد بالفناء في كل ثانية ، ومن الخير كل الخير لك أن تشغل وقتك بطاعة الله وأن تكون حذرا من انتهاك محارم الله ، فما انت إلا ميت طال بك الأجل أو قصر ، ومالك من مفر من ملاقاة الله بأعمالك وأنت وحدك وبعقلك وارادتك تستطيع وبتوفيق من الله عندما تكون جادا ، أن تجنب نفسك كل مساوىء الحياة ، لتكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

النبي وزيد و زينب

قصة زواج النبي ﷺ من زينب ، قصة تحدث القرآن الكريم عنها في سورة الأحزاب بقوله : (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعو لا)

هذه القصة أخطأ في تفسيرها – فيما نعتقد عن غير قصد - بعض علماء التفسير ، هذا الخطأ جاء في الأخبار المدسوسة التي تناقلها عن حسن نية بعض المفسرين ، من ذلك ما ذكر أن النبي ﷺ جاء إلى بيت زيد ، فرأى زينب جالسة وسط حجرتها ، فلما نظر اليها قال : (سبحان خالق النور تبارك الله احسن الخالقين) ثم رجع فلما قدم زيد أخبرته زينب بها حدث ، فقال لها : لعلك وقعت في قلب النبي فهل لك أن أطلقك حتى يتزوجك ؟ فقالت : أخشى أن تطلقني ولا يتزوجني : فذهب زيد إلى رسول الله عنه ، فقال له : أريد أن اطلق زينب ، فأجابه : (أمسك عليك زوجك واتق الله) مثل هذا الخبر وغيره من الاخبار المماثلة التي قيلت عن قصة زواج النبي بزينب بعد زيد ، جعلت أعداء الإسلام من مستشرقين وغيرهم يتخذونها كسلاح للحط من مكانة الرسول ﷺ واتهامه بأنه رجل شهواني ، وأن حب زينب قد ملك عليه لبه ، فمن هو زيد هذا ؟ ومن هي زينب ؟ وما هي القصة الحقيقية من زواجها لزيد ثم للنبي ، وما الحكمة في ذلك ؟ أربعة أمور لابد منها ليكون الموضوع واضحا من جميع جوانبه :

أولا – زيد هذا ، هو زيد بن حارثة ، وينتهي نسبه إلى يعرب بن قحطان ، أختطفته قبيلة من القبائل العربية في الجاهلية ، وهو بعد لما يزل صغيرا فباعوه كما تقول بعض الروايات إلى حكيم بن حزام واعطاه حكيم لعمته خديجة رضي الله عنها فطلبه رسول الله ﷺ من خديجة فأعطته أياه بعد أن تزوجته فأعتقه وتبناه وكان التبني منتشرة آنذاك في المجتمع العربي ، فكان

زيد بعد ذلك يدعى بزيد بن محمد مع أنه مولى لرسول الله ﷺ ، وأسلم زيد رضي الله مع أول من أسلم .

ثانيا – زينب ،زينب هذه هي زينب بنت جحش ، ومن كرائم نساء قريش ،وابنة عمة الرسولﷺ .

ثالثا – قصة الزواج كما قلنا ، زيد مولى من الموالي ، وزينب قرشية هاشمية خطبها رسول الله ﷺ بنفسه لزيد غير أنه قيل عنها إنها توقفت في بداية الأمر في قبولها الزواج من زيد ، خوفا من أن يقال إن زينب تزوجت من مولى لكنها قد تزوجته عن رضا منها إلا أنه وبعد ما يقرب من عام بدأت العلاقة تسوء بينهما إلى أن وصلت إلى حد لم يستطيعا البقاء معها في ظل حياة زوجية غير مستقرة فطلقها زيد رضي الله عنه ، وبعد أن انقضت عدتها تزوجها الرسول ع بأمر من الله .

رابعا – الحكمة من هذا الزواج ، لعل من المناسب هنا أن نذكر بايجاز شيئا عن التبني لتظهر الحكمة من هذا الزواج ، التبني نظام جاهلي يقوم على تجاهل حقيقة الأسرة الطبيعية ، وملخصه أن للرجل أن يتبنى من ليس بابن له من صلبه ويلحقه بنسبه وأسرته ويكون له نفس الحقوق من الصلب ، ويأتي في مقدمة هذه الحقوق أن يرث الابن المتبني الشخص المتبني ، وزوجة الابن تحرم على أبيه المتبني ، وكان هذا النظام سائدا إلى أن جاء الإسلام فألغاه ، عملا بقول الله تعالى : (وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ، ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم)

وقوله : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ، وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن

تخشاه. فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا)

وفي هاتين الآيتين توضيح للحكمة في تزويج النبي ﷺ من مطلقة مولاه زيد رضي الله عنه ، فالآية الكريمة الأولى تعلن البداية في تحطيم الفوارق الطبقية الموروثة ، إذ تجعل الناس سواسية لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، وكانت هذه الفوارق من العمق والعنف والصعوبة بحيث لا يقدر على تحطيمها سوى فعل واقعي من رسول الله ﷺ ، يواجه به ذلك المجتمع الصلب في عاداته وتقاليده ، ليقرر بذلك تشريعا جديدا ، يلغي بموجبه ذلك التعالي الذي تفرضه بعض الطبقات على بعض ، وذلك عن طريق تزويج زيد مولاه بزينب بنت عمته ، وهذا قضاء أراده الله تصريح به الآية الكريمة الأولى :(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) وكما أن زواج زيد من زينب كان قضاء من الله ، فقد كان زواج النبي ﷺ منها قضاء من الله كما تنطق به الآية الثانية ، (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)

والتفسير للآية كما يلي هو أن الله جلت قدرته يقول لنبيه ﷺ: (واذ تقول للذي أنعم الله عليه) بالاسلام (وانعمت عليه) بالعتق (أمسك عليك زوجك) يعني الا تطلقها (واتق الله) فيها ولا تطلقها (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) يعني تخفي في نفسك شيئا الله مظهره ، هذا الشيء ليس ذلك الحب لزينب ورغبته في طلاقها من زبد كما يزعم أعداء الإسلام وإنما كان يخفى ما ألهمه الله له من قبل من أن زيدا سيطلق زينب ، وأنه هو سيتزوجها ، والأمر الذي جعل النبي ﷺ يخفى هذا الشيء في نفسه ، وهو يعلم أن الله مبديه ، هو ما يتوقعه في مجتمعه من ردود فعل عنيفة اذا ما تزوج من مطلقة مولاة في وقت العرف السائد فيه حرمة زواج المتبني بزوجة المتبني لكن أمرا يريده الله و حكمه لابد وأن يقع (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) يعني تكره أن يعيب الناس عليك أمرا أراد الله به تشريعا للأمه وهو تحليل

مطلقات الادعياء ، الأمر الذي يعتبره الناس عيبا ، وتخشى من استنكار المجتمع لذلك لما فيه من تحطيم للفوارق الطبقية المتوارثة في ذلك المجتمع (والله أحق أن تخشاه) يعني أن خشية الله في مواجهة الناس بما يأمر الله به مهما كانت الأمور صعبة أولى من خشية غضب الناس .

ثم تستمر الآية لتقول : (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) وهكذا توضح الآية ، أن الله قد فرض على نبيه ﷺ أن يتزوج من زينب بعد طلاق زيد لها، ليبطل بذلك عادة العرب في تحريم أزواج الأدعياء، وفي هذا ما يهدم ما يزعمه أعداء الرسول عن من أكاذيب ومفتريات حول هذا الموضوع .

أنصاف متعلمين

ارشاد الناس وتوجيههم وتبصيرهم بأمور دينهم ضرورة لا يختلف فيها عاقلان إلا أن ذلك الارشاد والتوجيه في واقع الأمر ليس من السهل القيام به على الوجه الأكمل والأحسن ، لذا كان من الأمر الواجب والضروري على من يريد أن يرشد الناس أو يفقههم في شؤون حياتهم أن يكون على علم ثابت وواضح فيما يريد أن يفتي به ، حتى لا يقول لما هو حرام هذا حلال ، ولا لما هو حلال هذا حرام ، فيقع في محذور ، قال عنه ربنا سبحانه وتعالى : (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، وقال عنه الرسول ﷺ: (من أفتى بغير علم كان إثم ذلك على الذي أفتاه)

ومن هنا كانت مسؤولية التوجيه والافتاء بالغة الخطورة سيما اذا تصدر للفتوى من لا يحسنها ، وللتوجيه من لا يجيده ، وكثيرا ما وقف الإسلام في مواقف حرجة للغاية بسبب انصاف المتعلمين لإظهارهم اياه بمظهر المتناقض، مما جعل الآخرين يتهمونه بالجمود وضيق الأفق ، والسبب في هذا أولئك الذين لا يتورعون عن أن يخوضوا في مسائل من العلم ، هم دون شك لا يفهمون ما تجره من طعن للإسلام وأهله ،لكن شعورهم بالنقص وخوفهم من أن يقال عنهم إنهم لا يعرفون شيئا من العلم يدفعهم لسبب أو لآخر إلى أن يفتوا بما لم يكن واضحا من شريعة الله .

وهؤلاء دون شك ينطبق عليهم ذلك القول المأثور :إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس ، وإنما يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا ، فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ، إن هؤلاء الذين يدعون العلم ويظهرون للناس أنهم علماء ، وهم في واقع الأمر لا يفهمون من الإسلام إلا ما هو بدهى لكل أحد، هم في الحقيقة لا يظهرون الإسلام في صورة مشوهة فحسب، وإنما يفتحون ثغرات للطعن فيه وفي تعاليمه وهم بالتالي ينفرون منه أكثر مما يدعون إليه ، فالعلم أولا ثم التوجيه ثانيا ، أما توجيه أو افتاء بغير علم واضح من شريعة الله وضوح الشمس فأمر غير سديد وغير حكيم وخير للإنسان اذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله ورسوله أعلم.

الواعظ الجاهل

في بيت من بيوت الله ، وبعد أن فرغ الناس من صلاتهم ، قام رجل إلى جانب محراب المسجد في وقفة غير هادئة وغير متزنة ، ليقول : أيها الناس اتقوا الله ، وتطلع الجميع لأن يتكلم ويفيض ، ويمطر القلوب العطشي بما عساه أن يكون مفيدا ونافعا ولكن واعظنا عفا الله عنه استمر بكلام غير مرتب وغير منسق وبالتالي غير محدود الهدف والغاية ، ثم أخرج من جيبه كتيبا صغيرا ليقرأ فيه ، وقال مرة ثانية : اتقوا الله ولم يوضح الشيء الذي يريد أن يتقي المصلون فيه الله ثم اشار بأصبعه إلى شيخ هرم كان جالسا بالقرب منه وقال بالحرف الواحد : (الشايب دا أنا شفته اليوم في السوق يقول بصوت مرتفع لا إله إلا الله والاطفال يضحكون عليه ، والناس ما عاد يصلون الفجر في المسجد) ثم ازداد حماسة بطريقة مضحكة وقال : (الراديو والعياذ بالله شيطان وصناعته شيطانية واللي يستمع فيه الأغاني والموسيقى فاسق فاجر كافر).

وهزت هذه الكلمات المسجد هزا عنيفا وبدأ الناس يتهامسون فيما بينهم لا يدرون بماذا يفسرون كلاما مثل هذا ، واختتم واعظنا كلامه بدعاء بالتوفيق للجميع ثم انصرف ليؤدى سنة الصلاة ، ولكن الكلام من المصلين بدأ يملأ جوانب المسجد فمن قائل إن الرجل جاهل ، ومن قائل إنه مجتهد جزاه الله خيرا ، ومن قائل غير ذلك ، وسلم الرجل من صلاته وتقدم له بعض المصلين مستوضحا عن بعض الكلمات التي وردت في موعظته ودليله على ذلك من القران والسنة ، ولكنه لم يجب إلا باصراره بأن من يستمع الأغاني ويتلذذ بها ، فهو كافر ، وهاج المسجد بمن فيه ، وعبثا يحاول المعترضون اقناع صاحبنا فيوغل في المكابرة ، دون علم ويصر في عناد أن ما قاله هو الحق ، ويكبر في عقله الصغير أن يقول : إن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل ، ويحرج الناس موقفه بمطالبته بالدليل فلا يجد غير ما هو مسطر بذلك الكتيب الذي كان يقرأ فيه واسمه (حسن الافادة إلى طريق السعادة) ألفه بعض اصحاب أبي حنيفة رحمه الله ، وهذا الكتيب وامثاله من بعض الكتب التي تؤلف وتنشر بين الناس على

أنها تمثل وجهة نظر الإسلام هي في واقع الأمر تشوه جمال الإسلام وتنفر منه ، ولهذا نقول لصاحبنا هذا وأمثاله : اتقوا الله ولا تتكلموا إلا عن علم ومعرفة ، واعلموا أن تكفير المسلم بغير دليل قاطع من شريعة الله أمر خطير للغاية وقد قال رسول الله ﷺ : « من كفر مسلما بغير حق فقد كفر » وان التحليل والتحريم لا يكونان إلا بدليل ثابت من دين الله ، لأن الدين ليس بالرأي ولا بالتخمين ولا بالادعاء ولكنه فهم وعمل ودعوة إلى الله على بصيرة.

الهباء المنثور

من المعروف بداهة لدى الناس - كل الناس - أن الإنسان لا يعمل شيئا في هذه الحياة إلا وله من وراء ذلك العمل هدف يرجوه وغاية يقصد من ورائها نفعا له أو لغيره .

وحينما رغب الإسلام في مد يد العون للمحتاجين ، وأمر بالإحسان إلى المعوزين نهى عن المن في الصدقة لانه يبطل ثواب العمل (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) ... الآية . ذلك أن الأعمال اذا لم تكن الله فهي تجارة خاسرة مثال ذلك اذا قام شخص مثلا ببناء مدرسة أو مسجد أو ملجأ أو مستشفى ، ولم يقصد بذلك غير ثناء الناس ومدحهم ، لم يكن لذلك العمل ثواب ، واذا صلى وأطال الركوع والسجود أو تظاهر بالصلاح والتقوى ، ولم يكن ذلك لله ، كان عمله باطلا ، وقد قال الرسول ﷺ فيما قال : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » فسئل عنه ، فقال : الرياء .

والرياء هو ان يكون العمل لا لله وإنما من أجل ثناء الناس ومدحهم وما أبعد الفرق بين من يكون عمله الله ومن يكون عمله للناس ، فالأول عمله يرفع خالصا لله فيكون طيبا مقبولا ،واما الآخر فان عمله يرد عليه لأنه لم يكن لله فكان كالهباء المنثور الذي لا قيمة له .

ولقد كان المتصدق سرا - اى من يكون عمله خالصا لوجه الله - من السبعة الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله :

امام عادل .

وشاب نشأ في عبادة الله .

ورجل قلبه معلق بالمساجد .

ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا .

ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله .

ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .

ورجل ذكر الله خاليا ، ففاضت عيناه » .

من هنا يكون قبول العمل مؤكدا اذا كان قائما على الاخلاص لله ، وغير مقبول اذا كان القصد منه المدح والثناء من الناس .

ثبوت نبوته ﷺ

لم يشأ الله سبحانه وتعالى – وقد اعتنى بالجانب المادي من الإنسان بأن سخر له كل ما في السموات والأرض تكريما ولطفا واحساناً ، فأنزل المطر لتعطي الأرض كل ما تملك من خيرات . وعلمه الوسائل التي بها تتحقق سعادته في دنياه – أن يهمل منه الجانب الروحي الذي هو الوسيلة إلى السعادة الأبدية.

لذا أرسل الرسل للعالم في تعاقب مستمر ،يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ويعرفونهم بخالقهم العظيم ، ويوجهونهم إلى كل ما يحقق لهم الطمأنينة والأمن والاستقرار ، وهكذا إلى أن جاء خاتم النبيين وآخر رسل الله أجمعين محمد بن عبد الله برسالته العامة الشاملة لا لأمة معينة ولا لزمن معين ، وإنما لكل البشرية وإلى أن تقوم القيامة .

ومع ايماننا الذي لا يرقي اليه شك في نبوة محمد ﷺ إلا أننا وقد قرأنا وما زلنا نقرأ ونسمع ايضا من يشكك في نبوته ﷺ فيقول إنه مجرد رجل اصلاح ، قام في قومه كرجل عظيم يدعوهم إلى أشياء من عندياته ، فاستجيب له عن طريق قوة اقناعه وتأثير شخصيته على أولئك القوم ، وللحقيقة نؤكد أن الذين يقولون مثل هذا القول غالبا ما يكونون من الدعاة ضد الإسلام ونبيه ، لا جهلا منهم بثبوت نبوة محمد ﷺ، ولكن امعانا في انكار الحقيقة ، وتجاهلا بما يعرفونه هم أنفسهم وهذا شأن كل معاند في الدنيا ، يرى الحقيقة واضحة وضوح الشمس لكنه ينكرها من أجل تقوية حجته ، وتأكيد صدق مقالته ، لكن الحقيقة تظل كما هي مهما حاول الآخرون طمسها ، ولذا فإن نبوة محمد ﷺ ظلت عبر القرون ورغم الأكاذيب والأضاليل ثابتة وستظل إلى الأبد لأنها رسالة الله ، وما يقال في خبث ماكر بأن محمدا رجل عظيم ، وذو عبقرية فائقة وما قيل عنه من أوصاف لا تتوفر إلا في العظام من الرجال في العالم من أجل ابعاد وصف الرسالة عنه ، قد أصبحت الآن أوصافة داخلة ضمن اطار النبوة الثابتة لرسول الله ﷺ.

ولا بأس هنا لا من أجلنا فايماننا بنبوة محمد ﷺ لا يتطرق اليه شك ولكن من أجل أولئك الذين لا ايمان عندهم أن نورد بعض الأدلة العقلية كدليل على ثبوت نبوة محمد ﷺ.

وأول دليل على ذلك القرآن الكريم الذي تحدى العرب الذي نزل بلغتهم أن يأتوا بمثله ، ثم بعشر سور من مثله ، ثم بسورة من مثله ، فلم يقدروا على شيء من ذلك ولن يقدروا ، لأنه كلام الله ، وما دام العرب فرسان هذه اللغة ، وأرباب الفصاحة وصناع البلاغة والبيان ، قد أعلنوا عجزهم عن محاكاة هذا القرآن ، فغيرهم من البشر أولى بالعجز عن الإتيان بشيء من مثله ، لأنه كلام الله الذي أنزله على نبيه لتبليغه للبشرية وهذا هو ابرز دليل مادي على ثبوت نبوة محمد عليل (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)..

والثاني اخباره عن بعض الأشياء التي أطلعه الله عليها ، ومن ذلك :

١ – اخباره بما كان من أخبار الأمم الماضية مع انبيائها ، وما كانت عليه تلك الأم من قوة وحضارة ، ثم ما حصل للمكذبين لرسلهم من أنواع مختلفة من عقاب الله جزاء تكذيبهم الأنبيائهم ، وما إلى ذلك من أمور سبقت بعثته ﷺ .

٢ – اخباره بما يكون ، مثل : مصارع قتل المشركين ببدر ، وفتح مدائن كسرى وقصور الشام ، أمن الظعينة بين الحيرة ومكة ، افتتاح كنوز كسرى ، قتل أمية بن خلف ، تبشير عثمان بن عفان بالجنة مع بلوى تصيبه ، اخبار فاطمة رضي الله عنها بأنها أول أهله الحوقا به ، فتح مصر والتوصية بأهلها خيرا ، وغير ذلك .

٣ – اخباره بما هو كائن مثل : تداعي الأمم على الأمة الإسلامية ، طلوع الشمس من مغربها ، عودة بلاد العرب مروجا وانهارا ، نزول عيسى عليه السلام ، يأجوج ومأجوج ، الدابة ، الحشر والحساب والجنة والنار ، وما إلى ذلك من أمور كثيرة.

والثالث أمور خارقة للعاده مثل:

(أ) تسبيح الحصى في كفه ﷺ.

(ب) تسليم الحجر عليه بمكة قبل بعثته.

(ج) شكاية البعير إليه بأن صاحبه يتعبه ولا يشبعه .

٤- نطق الذراع بخيبر واخبارها اياه بما فيها من السم .

ه - نبع الماء من بين أصابعه ، وغير ذلك من أشياء كثيرة.

والرابع من دلائل نبوته اجابة دعائه مثل :

(أ) دعائه على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه فما بقيت له باقية .

(ب) دعائه بأن يعز الله الإسلام بأحب الرجلين اليه ، بعمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام فاستجاب الله في عمر .

(ج) دعائه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة فصار من أغنى الأغنياء في عصره .

(د) دعائه على عتبة بن أبي لهب بأن يسلط عليه كلبا يأكله فأفترسه أسد من الأسود.

(هـ) دعائه لابن عباس رضي الله عنه بأن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل فسمي بعد ذلك بحبر الأمة وترجمان القرآن - وهذا الباب واسع جدا .

وبعد ففي هذا كفاية لمن أراد أن يبحث عن الحقيقة ، أما من أراد الاستمرار على عناده ولم ير أن يعترف بالواقع فأمره إلى الله ، وليس إلى البشر.

رعاية الجار

كان العرب في جاهليتهم يحترمون الجار ، ويعتزون بحمايته ، والدفاع عنه بل ويذهبون في حمايته إلى ما هو أبعد من ذلك - حيث تقوم في بعض الأحيان حروب بين القبائل بسبب التعدي على جار يحتمي بأحد أفراد القبيلة.

وما زال الجار عند العرب معززا مكرما يتمتع بكل الحقوق التي يتمتع بها غيره إلى أن جاء الإسلام فأكد هذا الحق ... بأن أوصى برعاية الجار واحسان معاملته واعتبره كأحد أفراد الأسرة الأقربين حتى كاد أن يجعل له حقا في الميراث ، وذلك حين يقول الرسول ﷺ في حديث من أحاديثه : (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) وقال في بيان حقه أيضا : (أتدرون ما حق الجار؟ اذا استعانك أعنته ، واذا أستقرضك أقرضته ، واذا مات تبعت جنازته ، واذا أصابه خير هنأته واذا اصابته مصيبة عزيته ، ولا تستطل عليه البناء ، فتحجب عنه الريح إلا باذنه ، ولا تؤذه ، وإن اشتريت فاكهة فاهد له ، وإن لم تفعل فأدخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منه) (رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق و ابن عدي في الكامل و ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب).

ومفهوم الجيرة لا يقتصر على من يلاصق جداره جدار جاره فالطالب الذي يجلس بجانب طالب آخر على مقعد الدراسة يقال له جار ، والموظف الذي يجلس إلى جانب زميله على مكتب العمل يقال له جار ، والمزارع الذي يملك أرضا بجانب أرض لشخص آخر يقال له جار ، كل هؤلاء وغيرهم يجب لهم من الاحترام وحسن المعاملة ما يجب للجار الملاصق داره لدار جاره ، وحتى الجار غير المسلم يجب اكرامه واحترامه ، فقد كان للرسول ﷺ جيران من اليهود ، فكان يعودهم ويجيب دعوتهم ، ويحسن معاملتهم ، وهذا ولا شك مبدأ من مبادىء التسامح في الإسلام ، ودليل من أدلة بعده عن التعصب البغيض ، فاذا كان العرب قبل

الإسلام قد جعلوا للجار شأنا ومكانة ، فان الإسلام قد أقر هذه الخصلة الكريمة ، وحسنها ، وأدخل عليها بعض الأشياء الجديدة ليتمكن الجار من الراحة التامة في مكان راحته واستقراره.

موت الضمير

استيقظ من نومه متثاقلا حوالى الساعة السابعة صباحا واتجه نحو مكان الوضوء وصلى ركعتين خفيفتين هما صلاة الفجر ، ثم دخل كعادته إلى مكان الاستحمام ، وبعد مدة لا تقل عن ساعة كاملة خرج يرتدي ملابسه ، متجهة صوب المرأة ليصفف شعره وينظم غترته وعقاله ، ولم يكن الوقت الذي قضاه في تهيأة زينته بأقل من الوقت الذي قضاه في تنظيف جسمه داخل الحمام ، وجاءت الخادمة في احترام تحمل بين يديها فطور السيد المطاع ، وجلست زوجته ذات العيون الزرقاء بجانبه تحادثه وتؤانسه ، وأخذت الدقائق تتلاحق ، والوقت يسير بسرعة خاطفة ، ومضى من الوقت الخاص للعمل ما يقارب الساعتين والنصف ، وهو يتجاذب أطراف الحديث مع زوجته على أنغام الموسيقى الغربية ، وخرج صاحبنا من البيت بعد وداع رقيق من زوجته التي عودته أن تودعه عند الباب الخارجي ، وفي مكتبه جلس في عظمة مفتعلة يقلب في تلك الأوراق المتناثرة على المكتب منذ يومين وأكثر عدا ثلاث معاملات فقط هي الجديدة في وارد ذلك اليوم ، وهبت على صاحبنا نسمة من ضمير فأخذ عهدا على نفسه ألا يبرح المكتب حتى يصفي جميع ما لديه من أوراق ، فالعمل أمانة ومن الأمانة ألا يؤخر أعمال الناس دون سبب موجب لذلك.

وفتح الباب فاذا صديقه المجاور له في المكتب يدخل ليلقي تحية الصباح ثم يبدأ الحديث معه في استعراض ما حدث في سهرة البارحة من مشادة بين الصديقين فلان وعلان ، ويخرج الحديث إلى الترقيات والعلاوات وانتقاد المادة ذات الرقم المعين من نظام الموظفين العام وما ينبغي أن تكون حسب ما يراه هو.

ودخل الحاجب ليعلمه أن شخصا غريبا يريد مقابلته في أمر يتعلق بمعاملة حولت اليه الابداء رأيه فأمر الحاجب بأن يبلغ المراجع بأن لديه اجتماعا الآن ، وخرج الحاجب فأخبر المراجع بما قيل له ، ولم يكن لذلك المراجع المسكين بد من الانتظار حتى ينفض الاجتماع الهام

، اذ عليه عند الرجوع إلى هذا المكان مرة ثانية أن ينفق من النقود مثلما انفق في هذه المرة للمواصلات العامة ، وهو من الصنف الذي لا تتحمل ميزانيته الهزيلة مثل هذه النقود وسلم أمره لله غاضبا ، وجلس على الأرض بجانب كرسي الحاجب في سأم وملل ، وانفض الاجتماع الهام وخرج النديم من المكتب ، وبقي السيد المدير يتفحص المعاملات المتراكمة على المكتب .

ورق الحاجب لحالة المسكين الجالس على الأرض ، وتبرع أن يدخل على المدير ليقول له مرة ثانية ، أن المراجع يطلب مقابلته وصدرت الموافقة بايماءة رأسية خفيفة ، ووقف الشخص صاحب الحق أمام مكتب المدير في ارتباك يستوضح عن أمره الذي جاء من أجله ، وجاء الجواب سريعا بأن يراجع بعد يومين ، وقارب وقت العمل على الانتهاء وهبت نسمة من وخز ضمير على نفس المدير ، وغادر المكتب وفي قلبه شيء من تأنيب لهذا التعطيل الأعمال الناس ، وصمم على أن يغير من طريقة عمله ، وجاء في اليوم التالي في موعد العمل المحدد وانحنى لينهي بما لديه من اوراق ، ولم ينته وقت الدوام إلا وقد أنهى كل مالديه من معاملات ، وهكذا بقي صاحبنا اسبوعا كاملا على هذا المنوال ، ولكن ولسوء الحظ وبعد اسبوع واحد فقط عادت حليمة على عادتها القديمة.

العادات الصعبة

في مدينة من تلك المدن الصغيرة وفي الركن الشرقي من المسجد الكبير جلس إمام المسجد الشيخ علي ومحمود جزار المدينة المشهور ، وصالح الخباز يتحدثون في أمر ولد صالح الذي طلق زوجته بعد يومين من زواجه ، وفلان الذي لم تدم عشرته مع زوجته سوى شهر واحد فقط.

وكان على هؤلاء الثلاثة باعتبارهم وجهاء المدينة أن يبحثوا عن حل لتلك المشكلة ، وبقي الحال على هذا المنوال مدة من الزمن رغم الجلسات التي تعقد من وقت لآخر بين الزعماء الثلاثة ، إلى أن جاء يوم قدم فيه على المدينة صلاح بن عائد ، ذلك الشاب الذي سافر منذ عشر سنوات على إثر وفاة والده ، ولم يعلم عن مكانه حتى رجع يحمل معه مؤهلا علميا لا بأس به ، رجع ليجد كل شيء على ما كان يعهده ، حتى مكان بيع الحطب هو هو لم يتغير.

وأخذ يفكر في إدخال تغيرات على بعض عادات وتقاليد كانت سائدة منذ زمن بعيد ، وكان عليه بعد ذلك وقد بلغ مبلغ الرجال ، أن يبحث له عن زوجة ليبدأ حياة الاستقرار ، ولحسن الحظ أو لسوئه ، وقع اختياره على ابنة على امام المسجد فهي فتاة لا بأس بها تقرأ القرآن الكريم ، وعليها إلى جانب هذا مسحة من جمال حسبما ذكرت له ذلك خالته العجوز .

وتقدم إلى الشيخ علي يعرض عليه الزواج من ابنته فوافق على ذلك ، وهنا طلب صلاح من على أن ينظر إلى مخطوبته وتنظر اليه ، وفوجىء علي بهذا الطلب الغريب في نظره ، غير أنه تمالك اعصابه بشدة ولم يثر ، خوفا من فشل هذا الزواج الذي سوف يتم بين ابنته التي تحتل المكان الأول من قلبه ، وبين صلاح الذي أصبح يحتل المكان الأول في البلد ، وفطن صلاح لما حدث من رد فعل سيىء ظهر على وجه علي ، لكنها بداية المشروع الذي وضع خطوطه العريضة من أجله وللتأكد من ذلك سأل عليا : هل أزعجك هذا الطلب ؟ فرد دون مجاملة :

نعم ، ولولا أنك عزيز على لكان لي معك موقف آخر ، فاعتذر صلاح في لطف وقال : وهل قلت منكرا ؟ قال علي : ألم تعلم أن هذا الذي تطلبه حرام ، فرد صلاح قائلا : وكيف ؟ ألم يبح الإسلام صراحة بأن ينظر الخطيب إلى مخطوبته ، وهنا بدأ الكلام يشتد والنقاش يزيد من غضب علي ، وصحا الاثنان على صوت محمود الجزار يقرع الباب ، ودخل محمود واشترك في النقاش ، ولمجرد معرفته بطلب صلاح تحركت الدماء في عروقه وهاج وماج وأرعد وأزيد ، ثم أقسم على علي أن يلغي هذا الزواج من أساسه جزاء لهذه الوقاحة وهذا الاستهتار وإلا فسوف يقطع صلته به نهائيا ، وفكر علي في أنه سوف يخسر الثقة من جميع أهل البلد أن هو وافق على الطلب ، وهنا التفت إلى صلاح معتذرا له عن تراجعه عن الموافقة..

أطرق صلاح برأسه نحو الأرض ليرى أن من المصلحة التنازل عن طلبه فعلي إمام المسجد الكبير في البلد وله رأي محترم ومكانة مرموقة ، وهذا ربما يكون عونا له على تنفيذ مخططه وبعد فترة سكون دامت فترة من الوقت ، أعلن صلاح تنازله عن طلبه والتفت علي نحو محمود وكأنما يستوضحه رأيه فقال محمود : سوف نجتمع بعد صلاة المغرب عند صالح ونتشاور في الأمر.

واجتمع المجلس بكامل اعضائه ووضع الأمر للمناقشة ، وانتهت الجلسة بالموافقة التامة رفض تزويج صلاح من أي فتاة بالبلد جزاء عدم احترامه العادات السائدة لديهم، ومحاولته القيام بتغيير ما هم سائرون عليه حتى ولو لم يكن ذلك من الدين ، ومن هنا ندرك تماما أن بعض العادات والتقاليد الاجتماعية قد تكون أكثر رسوخا في النفوس من تعاليم الدين..

حتى لا تتعطل مصالح الناس جعل الله في هذه الحياة الأغنياء والفقراء ، الأصحاء والمرضى ، العاملين والخاملين ، فلحكمة إذا صار الفقر والغنى ، ولأمر كانت الصحة والمرض ، ولأسباب كانت الحركة والخمول ، وحينما اقتضت هذه الحكمة أن يكون هناك تفاضل في الرزق لم يترك الله الفقراء يتجرعون مرارة هذا الفقر ، بل منحهم جزءا من أموال الأغنياء فريضة يقاتل عليها أصحاب الأموال حينها لا تسمح نفوسهم باعطاء هذا النصيب المفروض المحدد في أموالهم التي يملكونها ، وإلى جانب هذا النصيب المفرض في أموال الأغنياء للفقراء كانت هناك توجيهات من الله وارشادات من رسول الله ﷺ ترغب في العطف على البؤساء والمحتاجين وبذل المال في الصالح العام ، لذا قال الرسول ﷺ فيما قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

وهؤلاء الذين تتمثل فيهم كل معاني البؤس والشقاء هم ولا ريب في مسيس الحاجة إلى من يعطف عليهم ويخفف من آلامهم لأن لهم من الأحاسيس والمشاعر ما لغيرهم من عباد الله ، واحساسهم بالحرمان ، وشعورهم بتمتع الآخرين بنعم الحياة دون أن يكون لهم نصيب من ذلك يخلق في نفوسهم النقمة على المجتمع الذي يعيشون فيه ، والسبب في ذلك المجتمع نفسه (اقصد مجتمع اصحاب الأموال الذين يملكون القدرة على التخفيف من الألآم النفسية التي يعانيها هؤلاء الإخوة نتيجة لتبعات الحياة التي تثقل كواهل الكثير منهم) ومن هنا يمكن لهذه الطبقة من الناس أن تتنكر لكل شيء وتحاول تحطيم كل شيء حينما تفقد العطف من الآخرين.

وحتى لا يحصل هذا الخلل في المجتمع أو توجد طائفة حاقدة عليه حاسدة له تساعد على الهدم وتحاول التخريب فيه ، كان لزاما على من أنعم الله عليهم بالمال أن يساعدوا أصحاب الحاجة ، ويتعهدونهم بالرعاية والمساعدة ، وبذلك تسود المحبة وتقوى رابطة الأخوة ، ويبقى المجتمع متماسك البناء سليم الاتجاه ، لا حقد فيه ولا كراهية ، ولا زعزعة ولا اضطراب ،

وهذا هو طريق الحياة السعيدة للمجتمع السعيد ، حب وصفاء واستقرار وبناء ، وهذا ما يدعو إليه الإسلام.

خداع مكشوف

كثير من الناس مثلهم في هذه الحياة كمثل النعامة التي تدفن رأسها بين الرمال موهمة نفسها أنها بهذا العمل تخفي جسمها عن الأنظار ، لذا فهم يأتون من الأعمال أقبحها ويسلكون من الطرق أسوأها ، وهم بهذا ايضا يوهمون أنفسهم أن احدا لن يستطيع فهم حقيقة أمرهم أو اكتشاف نواياهم طالما انهم يظهرون للناس تقى وعفة وصلاحا ، وان لديهم القدرة على التلون حسب الظروف والمناسبات والاحوال . ولكن هذه الأمور كلها في حقيقة الواقع لا تكفي لستر ما يريدون إخفاءه من التواءات وانحراف ، ذلك أن خداع الناس مدة طويلة من الزمن أمر في غاية الصعوبة ، وحتى لو استطاع أولئك المخادعون تضليل الآخرين بطريقة أو بأخرى فلن يستطيعوا خداعهم كل الوقت ، فقد ورد في الأثر : « من أسر سريرة ألبسه الله رداءها إن خيرا فخير وإن شرا فشر » ومثله قول الشاعر:

ومهما تكن عند أمريء من خليقة   وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وهؤلاء الناس الذين يستبيحون لأنفسهم ما يحظرونه على غيرهم ، ثم يبدأون في البحث عن المبررات والمسببات غير الوجيهة ليخففوا بها من وخز الضمير والشعور بالخطأ حينما يقدمون على مثل هذه الاعمال القائمة على مغالطة النفس وخداعها ، إنما يغالطون أنفسهم في الاقدام على عمل لا يرضى عنه الله ولا تقره شريعته ، ولقد كان من الخير لمثل هؤلاء لو كان خوفهم من الله نابعا من صميم قلوبهم أن يكونوا صرحاء مع أنفسهم وألا يجرهم بريق المال إلى تناسى ما بعد الحياة من حساب لهذا المال من أين اكتسب وفيما أنفق ؟

والإنسان أي إنسان إذا تجاسر على الاستهانة بالقيم الأخلاقية ملتمسا لنفسه أوهي الأعذار وأضعف المبررات ، لا يهتم للانتقاد مهما كان اسلوبه أو طريقته ، وبالتالي لا يحس بالذنب يرتكبه في سبيل الحصول على المال أو غيره دون النظر إلى العواقب المترتبة على ذلك وأهمها

حساب الآخرة القائم على الدقة والعدل الدقيق ، إن أمثال هؤلاء في الحقيقة أشبههم بالفراشة التي يغرها الضوء فلا تشعر إلا وهي تحترق في وسط اللهب.

إذا ما أغنى هذا الصنف من الناس عن أن يشتروا هذه الحياة الدنيا بالآخرة ، ويغفلوا عن حسابهم قول الله سبحانه وتعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).

وما احراهم أن يدركوا – لو كان هناك إيمان صادق في قلوبهم – بأن الله يطلع على كل صغيرة وكبيرة ، وأن خداعهم للمجتمع لا يخفى عليه ، وسيجازيهم على ذلك جزاء المنافقين الذين يقولون مالا يفعلون.

إثبات الصفات لله

الله جلت قدرته ، وتقدست ذاته له أسماء وصفات ، وردت في القرآن الكريم وبعض أحاديث الرسول ﷺ .

مذهب أهل السنة والجماعة فيها ، الإيمان بها ، واثباتها كما جاءت في القرآن الكريم ، أو سنة الرسول ﷺ .

فهم يثبتون لله مثلا صفة العلو ، ويقولون إن الله سبحانه وتعالى : (**مستو على عرشه ، عال على خلقه ، مطلع عليهم ، لا يخفى عليه شيء من حركاتهم أو سكناتهم ، يعلم سرهم وجهرهم ، ويعرف دخائل نفوسهم ، وما تتحدث به قلوبهم ، وهو فوق سمواته ، مستو على عرشه**) كما ثبت ذلك في قول الله سبحانه وتعالى : (أمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور) وقوله حكاية عن فرعون : (يا هارون ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب . أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى) وحديث الجارية التي سألها رسول الله ﷺ بقوله : أين الله ؟ قالت : في السماء ، قال : من أنا ؟ قالت . انت رسول الله ، قال : اعتقها فإنها مؤمنة ، وحرف (في) في الآية ، والحديث بمعنى (على) يعني على السماء.

كما يثبتون له صفة الوجه ،استدلالا بقول الله جلت قدرته : (كل شيء هالك إلا وجهه) وقوله : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام).

وصفة اليد ، كما جاء بذلك القران الكريم في قوله : (يد الله فوق ايديهم) وقوله: (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)..

وصفة السمع ، والبصر ، دليل ذلك ، قول الله سبحانه وتعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

وصفة الكلام كما جاء في قول الله سبحانه : (وكلم الله موسى تكليما) وكما جاء في الحديث قول الرسول ﷺ : (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان).

وصفة الفرح والنزول ، كما دل لذلك قول الرسول عل : (لله أشد فرحا بتوبة عبده من فرح أحدكم براحلته كان في ارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فنام تحت شجرة فاستيقظ فاذا بها واقفة عند رأسه فقال : اللهم أنت عبدي وأنا ربك . اخطأ من شدة الفرح) وقوله : (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير) فيقول : (من يدعوني فأستجيب له ، من يستغفر فأغفر له).

وصفة الضحك ، والعجب ، كما ثبت ذلك بقول الرسول ﷺ : (عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره، فينظر اليكم آيسين قانطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب).

وصفة المحبة ، كما قال الله سبحانه وتعالى : (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) .
وصفة الرحمة ، كما في قوله سبحانه : (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين). وصفة العين ، كما جاء في قول الله :(واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا). وصفة الرضا ، كما في قول الله سبحانه : (رضي الله عنهم ورضوا عنه).

وصفة الغضب ، كقوله تعالى : (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه).

وصفة المعية ، كما في قوله سبحانه :(إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وما إلى ذلك من الصفات التي ثبتت في القرآن أو السنة.

غير انهم يقولون : هذه الصفات نصدق بها تصديقا كاملا ونثبتها لله كما اثبتها لنفسه ، دون أن نتعرض لها بتفسير أو تأويل ، فلا نشبه صفاته بصفات خلقه ولا نمثلها بصفات غيره من المخلوقين ، و نقول : كيف هي ؟ وإنما نسلم بتسليم العاجز عن البحث فيما هو فوق طاقة

عقله ، فنقول : الله مستو على عرشه ، استواء حقيقيا ، غير انه ليس كاستوائنا ، وله وجه ، لا كوجوهنا وله يد لا كأيدينا ، وله نزول لا كنزولنا ، ومثل هذا يقال في جميع الصفات.

كما نؤمن بأنه ليس كمثله شيء في صفاته أو اسمائه ، فهو سبحانه أعظم من كل شيء وأعلى من كل شيء والعالم كله في قبضته وتحت تصرفه وليس من حركة في الكون أو سكون إلا بأمره ، وارادته ، وليس هو في حاجة إلى ذرة من ذرات الكون ، هذه هي الطريقة التي سار عليها الصحابة وعلماء السنة وهي الطريقة الواضحة السليمة.

اما التعرض لهذه الصفات بالتأويل فزلة قدم ، وتعرض لشيء هو فوق مستوى الافهام ومستوى العقول ، ومما لا شك فيه أن محاولة الوصول إلى ما هو فوق طاقة العقل ما هو إلا ضرب من العبث ، لا فائدة منه ، وأقل ما فيه انه تضييع للوقت.

ولقد كانت الفائدة عظيمة لنا وللعالم كله ، لو أن أولئك الفلاسفة من علمائنا – عليهم رحمة الله – استخدموا عقولهم ، واستغلوا تفكيرهم ، فيما يعود على البشرية بالخير والسعادة ، بدلا من البحث مثلا في ذات الله هل هي جوهر أو عرض ، وبدلا من التخبط في صفات الله بما يجعل الله شبيها لشيء من مخلوقاته ، تعالى الله عن ذلك وتنزه وتقدس.

إن الذي ينبغي أن تفهمه العقول جيدا هو أن الله سبحانه وتعالى يجب أن ينزه عن النقائص ، وعن العيوب ، وأن ذاته وصفاته فوق مستوى الافهام وفوق مدارك العقول ، لذا فمن واجبنا كبشر ان نقف عند حدود طاقاتنا العقلية والفكرية ، وإلا فان معنى ذلك التخبط فيما لا نستطيع الوصول اليه وما لا يمكن بأي حال من الأحوال فهم حقيقته ، ولقد قال الرسول ﷺ : « تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا » فليسعنا ما وسع اصحاب رسول الله ﷺ ، ومن بعدهم أهل السنة والجماعة ، من عدم البحث في ذات الله ، أو تأويل صفاته ، ففي ذلك المأمن من الوقوع في المحظور ، والقول على الله بلا علم.

روابط القربى

العطف والمعروف والاحسان ، مبادىء دعا اليها الدين ، ورغب فيها ونادى بها ، ووعد عليها بالمثوبة ، والجزاء الجميل في يوم الجزاء ، وبينما نجد الإسلام يأمر بالإحسان إلى المسلمين جميعا ، بل إلى البشرية كلها بل وحتى إلى البهائم ، إذ نجده ، يأمر بالعطف والاحسان ، بصفة خاصة للأقارب ، فتأتي بعض الآيات القرآنية لتأمر بذلك فتقول : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم) وذوو القربي ، هم ذوو الأرحام ، من الإخوة ، والأخوات والأعمام ، والعمات ، والأخوال ، والخالات ، وغيرهم من تربطك بهم قرابة رحم.

وعلى أن تظل هذه الروابط بين الأقارب ، قوية لا تنفصم ، ومتينة لا تنقطع ، حذر الله من قطيعة الرحم ، وجاءت آية أخرى من القرآن الكريم ، لتتوعد الذين يقطعون أرحامهم ، بعمى البصيرة والبعد عن رحمة الله فيقول : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم).

ولأهمية حق الاقارب ، جعل الله الصدقة على غير القريب صدقة ، وعلى القريب صدقة وصلة ، ثم يأتي بعد ذلك حديث قدسي ليبين ، أن الله يصل من يصل الرحم ويقطع من قطعها ، فيقول ذلك الحديث : « أنا الله ، وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته »

واذا كان من الناس من لا يعتنى بشؤون أقاربه ، ولا يهتم بأحوالهم ولا يسأل عنهم ، أن كانوا في سعة من العيش ، أو ضيق من الحياة ، فإن هذا عملا لا يرضى عنه الله ، ولا تقره حقوق القرابة ، التي أوصى الله بها وحذر من التهاون بها.

وصلة الاقارب هذه ، تكون بالعطف والاحسان ،وبالكلام اللين اللطيف ، وبالتواضع وعدم التعاظم ، وبتعهدهم بالزيارة في فترات لا تكون متباعدة ، وفي المشاركة في آمالهم وآلامهم ، ولا شك أن هذه الأشياء توثق روابط المحبة وتوجب الألفة ، وهذا هو المطلوب لايجاد أسرة تجتمع قلوبها على الألفة والمحبة ، والصفاء ، ومن الأسرة يتكون المجتمع التعاوني ، الذي يحس كل فرد منه بإحساس الآخرين ، وحتي اذا حصلت زلة مقصوده أو غير مقصودة ، من أحد من الأقارب فإن من واجب القرابة التجاوز عنها ، والصفح عن زلاتهم بقدر المستطاع ، ولأن محاسبة الأقرباء على كل دقيقة وجليلة معناه القضاء على روح المحبة ، والألفة بين الأقارب ، لتحل محلها البغضاء والكراهية وهذا ما لا يجب أن يكون بين الأقرباء .

وفي تحمل الاساءة ، وعدم المجازاة عليها ، دليل على رجاحة العقل وعلى الشهامة والنبل ، وعلى تقدير الأمور وبعد النظر ، وليس في تحمل الاساءة معنى من معاني الهزيمة المعنوية ، كما يظن بعض الذين لم يصلوا إلى مستوى يمكنهم من أن يفهموا القيم الأخلاقية الرفيعة ، التي تدعو إلى تحمل الاساءة وإلى التسامح عن الهفوات الصغيرة وغير الصغيرة ، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، إن لى قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن اليهم ويسيئون الي ، وأحلم عليهم ويجهلون علي فقال له : « لكن كنت كما قلت فإنما تسفهم المل ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك. »

وتتضح عناية الله بالاقارب ، ومدى حرصه على الإحسان اليهم ، والرأفة بهم ، والصفح عن زلاتهم ، بما حصل لابي بكر مع مسطح ، والموضوع يتلخص في أنه كانت بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وبين مسطح بن أثاثة قرابة ، وكان فقيرا فكان أبو بكر ينفق عليه لفقره ، وكان مسطح من الجماعة التي خاضت في حديث الإفك وعندما نزلت البراءة من الله لعائشة ، حلف ابو بكر ليقطعن النفقة عنه ، فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية (ولا يأتل

أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم).

ولقد كان من بر الوالدين صلة رحمهما ، كما جاء في الحديث عن الرسول ﷺ ، حينها سأله ذلك الرجل ، عما اذا كان قد بقي من بر أبويه بعد موتهما فقال : « نعم -الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، واكرام صديقهما من بعدهما ». كما أن من أسباب دخول الجنة صلة الرحم ، كما جاء عن الرسول ﷺ حيث يقول : (أيها الناس أفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام).

هذه هي حقوق الأقارب ، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه أفراد المجتمع نحو بعضهم ، تراحم وتعاطف ، بر واحسان ، محبة وإخاء ، اتصاف بكل معاني الخير ، واتجاه لكل ألوان البر والفضل والاحسان ، والمعروف.

الذين أسرفوا على انفسهم

كرم الله ولطفه بعباده أمر لا يجادل فيه مؤمن بالله ، ورحمته وعفوه شيء غير مشكوك فيه ، واحسانه إلى عباده وغفرانه لذنوبهم ثابت بنص القرآن الكريم ، والله رحيم يحب من عباده الرحماء ، والإنسان أي إنسان عرضة للأخطاء والهفوات ، والله جلت قدرته يعرف مدى تأثير الشهوات على النفوس ، وعدم قدرتها في كثير من الأحيان على مواجهة التحديات ، لذا قال جلت عظمته : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) ويقول : (ورحمتي وسعت كل شيء) وهذا الباب المفتوح أمام الإنسان يمده بالأمل في شمول رحمة الله التي وسعت كل شيء ، لكن هذا لا يعني أن يتمادى في المآثم ، ويستمر في الأخطاء ، ويمضي في معاصي الله ، اعتمادا على سعة رحمته غير متذكر أن الله يغار على انتهاك محارمه ، وأن عقابه أليم شديد ، من أجل هذا ينبغي أن يعيش الإنسان في دنياه بين الخوف والرجاء ، الخوف من عواقب التعدي على حرمات الله ، والرجاء في الحصول على رحمة الله ، التي تشمل كل أنواع الإنحرافات عدا الشرك الذي صرح القرآن بعدم التجاوز عن العقاب عليه ، تقول الآية من كتاب الله : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) أما ما عدا الشرك من الذنوب فالأمر إلى الله إن شاء تجاوز عن هفوات الإنسان وأخطائه ، وإن شاء عذبه على قدر جريمته ثم يدخله الجنة ، لكن الذي يموت وهو مشرك بالله لا يغفر الله له ابدا ، فاذا أغرق الإنسان في المعاصي ، واستسلم لضعفه البشري أمام رغباته النفسية وازدادت أخطاؤه ، فان عليه أن يخلو في ساعة تأمل مع نفسه يحاسبها على تلك الأخطاء التي سوف تعرضه ولا شك لعقاب من الله ، عل ذلك يكون سببا في عدم استمراره في ممارسة تلك الأخطاء ، ومهما كانت الذنوب كثيرة فان صدق الرجوع إلى الله ، والندم النفسي على ما حصل من هفوات ، والتصميم على عدم العودة إلى ما حرم الله ، كفيل بمحو هذه الذنوب والآثام ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله : (لو لم تذنبوا الذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرونه فيغفر لهم) . لكن الذي

هو أفضل من هذا ، والذي فيه الأمان كل الأمان وبه تتحقق السعادة الأبدية هو أن يحاول الإنسان دائما وابدا ألا يدنس نفسه بالمعاصي ، وان يبتعد عن كل ما حرم الله من ذنوب ، وآثام ليلقى الله راضيا عنه ، وليكون من ضمن أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب ، ودخول الجنة بغير حساب هو أمنية كل المؤمنين الصالحين الذين حرموا أنفسهم كثيرا من ملذات الحياة ، خوفا من الله فيجازيهم الله بهذا الفضل العظيم ، والنعيم الذي لا حدود له ، واذا كان هذا النعيم الذي يتمناه ويعمل من أجله الأتقياء من عباد الله ، بمحافظتهم على وحدانية الله والتزامهم بشريعته ، وابتعادهم عن كل ما يخالف أوامره ، فإن على الذين أسرفوا على أنفسهم بارتكاب المآثم ، ألا يقنطوا من رحمة الله ، لكن عليهم أن يعودوا إلى الله قبل فوات الأوان . فالتوبة بابها مفتوح ما لم تحشرج النفس في الصدر ، وهي مقبولة عند الله ما لم تتأخر إلى وقت النزع ، ومن يدري متى وقت الأجل ، قد يكون بعد مرض طويل أو قصير ، وقد يكون في لحظة خاطفة برا أو بحرأ أو جوا ، بسبب احتراق أو صدام أو انقلاب ، وأحداث الحياة وعبرها كثيرة لو تدبرها الإنسان ، ومن أجل هذا فإن التوبة إلى الله قبل حصول مفاجآت قد لا يتوقعها الإنسان أمر مطلوب لضمان السلامة ، والحصول على السعادة.

اختيار الأصدقاء

من أهم الأمور في الحياة لاستقامة الإنسان، ومساعدته على السلوك الخير اختيار الصديق الصالح ، والابتعاد عن جلساء السوء ولأهمية هذا الاختيار وصف الرسول ﷺ الجليس الصالح والجليس غير الصالح بقوله في الحديث الوارد عنه : (الجليس الصالح كحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تجد منه رائحة طيبة ، والجليس الخبيث كنافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه رائحة خبيثة) وهو ولا شك وصف رائع حقا ينطبق على كل من الجليسين انطباقة تامة ولو بحثنا عن وصف اروع من هذا الوصف لما وجدناه في غيره ، ولنتأمل هذا الوصف مرة أخرى ، لنرى صورة رائعة لشخص يحمل مسكا تفوح منه رائحة زكية تشرح النفس وتريح القلب ، ثم وهو يعطى لجليسه من هذا الطيب المنعش ليطيب به جسمه وثيابه كي تكون رائحته جذابة وجميلة لدى الآخرين.

وصورة أخرى قبيحة لشخص لا يستفيد منه جليسه سوى الشر الذي يتطاير من الكير فيتسبب في احراق ثيابه ، أو تلك الرائحة الخبيثة رائحة الحديد والدخان والرماد المتصاعد بسبب هواء الكير إنها صورة توضح مدى فائدة الجليس الصالح ، وضرر الجليس غير الصالح ، وهو توجيه نبوي حكيم في الاهتمام باختيار الأصدقاء ، وتجارب الحياة تؤكد حكمة هذا التوجيه النبوي ، فأولئك الذين أحسنوا ويحسنون اختيار الأصدقاء نجدهم استطاعوا بمساعدة ومشاورة وتوجيه اصدقائهم أن يكسبوا ثقة الآخرين عن طريق سلوكهم واستقامة أعمالهم ، ويكونون أعضاء صالحين في مجتمعاتهم ، يوجهون إلى الخير ، ويعملون على اصلاح الأخطاء أيا كانت ، ويتعاملون مع الله في الجهر كما يتعاملون معه في السر ويحاولون بكل ما لديهم من طاقة أن يكون المجتمع البشرى سائرا على منهج الله الذي هو طريق السلامة من كل المهالك والاخطار ، أما أولئك الذين أساءوا اختيار اصدقائهم فتجدهم دائما من رواد السجون نتيجة انحراف سلوكهم بسبب تأثير أصدقاء السوء عليهم ، وتجدهم ثانيا ينظر اليهم باشمئزاز وعدم احترام وتراهم أنفسهم يحسون بهذا الاشمئزاز والاحتقار ، فيحدث

ذلك ردود فعل سيئة ، تجعلهم ينغلقون على أنفسهم في ذلة تامة ، وينفرون نتيجة احساسهم هذا حتى من أقرب اقربائهم ، وهذا بدوره يسبب لهم عقدة نفسية قد تكون لها آثار خطيرة عليهم وعلى المجتمع الذين يعيشون فيه والسبب في ذلك مجالسة السيئين ومصادقتهم ، وكم هي كبيرة المصائب التي حلت بكثير من الناس بسبب اصدقاء السوء ، والخطأ ليس هو في أن ينحرف سلوك الإنسان فترة من الزمن ولكن الخطأ كل الخطأ الاستمرار في هذا الانحراف وعدم العودة إلى الله إلى وقت لا ينفع فيه التراجع.

وهنا أجدها مناسبة لأورد قصة قصيرة لشاب جنى عليه جلساء السوء ، ولكنه عاد لله بعد متاعب كثيرة حصلت له ، ملخص هذه القصة : أن شابا تربطني به صلة قرابة إلتف حوله وهو لما يزل يافعا مجموعة من جلساء السوء ، فانحرفوا به عن طريق أسرته المتدينة جدا ، وانطلق معهم في أجواء التيه والضياع حتى لا يكاد يمر شهر إلا وهو خارج من سجن أو داخل فيه ، وهكذا مرت عليه سنوات من عمره عاشها في تعاسة نتيجة انحرافه وسوء سلوكه بسبب جلساء السوء ، وبعد أن تجرع مرارة الذل والهوان وفات عليه الكثير من الوقت الذي خسره من عمره ، جاءته نفحة إلهية جعلته يحاسب نفسه عن هذا العبث الذي تورط فيه بسبب أصدقاء السوء ، وكان أول عمل قام به هو مقاطعة أولئك الأصدقاء فاستقام أمره وتحسن حاله ، وتغير سلوكه ، وأصبح من احسن الشباب صلاحا وتقوى بعد أن كان لا يترك معصية إلا مارسها.

ومن هنا ندرك تماما خطر أصدقاء السوء على حياة الإنسان وسلوكه وما على الإنسان بعد ذلك إلا أن يختار لنفسه الأصدقاء الصالحين الذين يعينونه على الخير ، وينأون به عن دروب المهالك ، وطرق الضلال.

الرسالة الأخيرة

أقصد بالرسالة الأخيرة هنا رسالة الإسلام الخاتمة لكل الرسالات الإلهية والتي جاء بها محمد ﷺ خاتم النبيين ، ولأن هذا الإسلام دين أراد الله أن يكون آخر الأديان ، فقد أراد له أن يكون شاملا لكل جوانب الحياة ومحققة للسعادة في الآخرة.

والإسلام معناه الاستسلام الله بالتوحيد والالتزام له بأمتثال أوامره واجتناب نواهيه والاعتراف بأن الكون كله خاضع لله منقاد لأوامره ، فالشمس والقمر والأرض والسماء ، والظلام والنور ، والأشجار والأحجار والبهائم وكل ما هو في هذا الكون إنما هو مسخر لله منقاد لأمره ، لنستمع معا إلى هذه الآية الكريمة من كتاب الله تقول في هذا المعنى : (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) وقد جاء في حديث أن الشمس والقمر حين يغيبان يقعان لله ساجدين ، ثم لا يطلعان حتى يؤذن لهما ، إن هذا الإسلام الذي نعتز بالانتماء اليه ، وإن نزل بلغة العرب فإنه دين عالمي وليس خاصا بأمة من الأمم ولا مجتمع دون مجتمع ، ولا زمنا دون زمن ، وما يقوله بعض المستشرقين من أن الإسلام خاص بالعرب ، قول لا يقوم على دليل كما أنه يتعارض تماما مع قول الله سبحانه وتعالى : (قل يا ايها الناس إلى رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض).

لذا فإن عقيدة هذا الدين بابها مفتوح لكل الأنواع من البشر لا يصد عنها أحد بسبب جنسه ، أو لونه ، وهو بتعاليمه قد ألغى كل شكل من أشكال العصبية والتفاخر بالأرض أو النسب أو القبيلة ، وجعل مقياس التفاضل بين الناس قائما على مدى ما يتمتع به الإنسان من صلاح وتقوى ، يوضح هذا المعنى قول الله في كتابه المقدس : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وهكذا يجد كل إنسان له مكانة في ظل العقيدة الإلهية على أساس من المساواة التي لا تفاضل معها إلا بتقوى الله

جلت قدرته ، وديانة الإسلام تقوم أساسا على وحدانية الله والتجرد عن أي نوع من انواع الشرك والبعد عن كل مظهر من مظاهر الوثنية والخرافة والتخريف .

والارتباط بالله ، ومراقبته في كل لحظة من لحظات الحياة ، وهو بعد هذا كله يرتفع بالإنسان إلى المنزلة التي تليق به ، فنهى عن الاستعلاء على الناس ، وأكل الأموال بالباطل والغش والخديعة والخيانة والتعدي على محارم الآخرين ، وأمر بالعطف على البؤساء والمحتاجين ، والكف عن ممارسة الشر ، ونشر الكلمة الطيبة ومساعدة العاجزين ، ومجد العمل ، ورفع من شأن العالمين ، وأمر كذلك بالحب والصفاء والشفقة والرحمة بين المسلمين ، ووصف المسلمين بأنهم أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، ومن هنا ندرك أن الإسلام ينظر نظرة كلية حول الله والكون والإنسان ، وذلك من أجل أن يتحقق للإنسان مايلى :

١ - الإيمان الجازم بوجود الله الخالق للكون .

٢ - الوقوف في تأمل أمام عظمة هذا الكون وما يحتوي عليه من صنع وابداع عظيمين .

٣ - المعرفة بما أعطى الله هذا الإنسان من كرامة يأتي في مقدمتها تسخير الله له كل ما في السموات والأرض ، وجعلها في خدمته الأمر الذي يتطلب منه الشكر .

وهذا يعني ان النظام الإسلامي يقوم على اساس الإيمان بالله اولا ، ويستمد نظرته إلى الكون والإنسان والحياة من هذا الإيمان ، ولذا يمكن أن نقول : إن مفهوم العبادة في الإسلام يتسع بحيث يشمل كل أعمال الإنسان مادام يقصد منها وجه الله تعالى ومن هذا المنطلق نستطيع القول أيضا بأن الإسلام دين ودوله ..عقيدة وشريعة ونظام حياة ، الأمر الذي يجعله في تشريعاته يختلف عن كل الأنظمة التي تقوم على أساس مادى.

كما اختلف في تسميته عن الديانات الأخرى التي نسبت إلى رجل خاص أو قبيلة أو غير ذلك فالبوذية مثلا سميت باسم بوذا ، والمسيحية اخذت من اسم السيد المسيح ، واليهودية

نسبت إلى قبيلة تعرف بيهوذا ، أما الإسلام فلم ينسب إلى رجل خاص ولا إلى قبيلة وغيرها ، ليدل على أنه ما عني بايجاد هذا الدين رجل من البشر ، وأنه دين عام لكل العالم.

كما يختلف في عقيدته التي تصلح لعامة الناس وخاصتهم - ويشتمل على مصالح الدين والدنيا معا - عن الديانة المسيحية القائمة على الاتجاه إلى الله بالعبادة والخوف منه ، دون التعرض من قريب أو بعيد إلى أمور الحياة ، ومشاكل المجتمعات ، وعن الديانة اليهودية التي اختص بها شعب دون سائر الشعوب وهي في النهاية تنقض عقائد الشرك ، ومنها عقيدة اتباع المسيح التي تقول بألوهيته وأنه ابن الله ، وأن الإله الواحد جوهر واحد له ثلاثة أقانيم : الله الاب والله الابن - وهو المسيح - والروح القدس . وغيرها من العقائد القائمة على أي نوع من أنواع الوثنية ، ولكن والإسلام يرسم الطريق الذي تتم به سعادة الإنسان في دنياه وآخرته ، لابد للمسلم أن يكون كالتالي:

١ -إن كان عالما في الذرة أو الفلك فليكن دائما معينا له على تعميق الإيمان بالله في قلبه ، وليجعل هذا العلم في خدمة الإنسان بدلا من كونه وسيلة هلاكه .

٢ - وإن كان متفوقا في علوم الشريعة ، فليكن ذلك حافزا له على أن يكون منارة ينير الطريق إلى حيث توجد السعادة للآخرين .

٣- وإن كان متخصصا في المجال السياسي فليكن همه دائما تحقيق مبادىء الأمن والسلام في العالم كله .

٤ - وإن كان غنيا فليشكر الله على نعمته وليجعل هذا المال في خدمة الإسلام والمسلمين يعين المجاهدين في الله ، ويساهم فيما ينفع الآخرين من بناء المساجد والملاجىء والمستشفيات .

٥ -وإن كان حاكما فليعلم أنه مسؤول أمام الله عن أي ظلم يقع على أحد من افراد الأمة.

٦- وإن كان موظفا في أي من أنواع الوظائف ، فليؤد عمله باخلاص ، ويبتعد عن كل ما يدنس سمعته مما لا يليق مع كرامة الموظف ، ولا يتفق مع واجبات الوظيفة.

وعلى العموم فإن سيرة المسلم في حياته ينبغي أن تكون ملتزمة بأحكام شريعة الله في كل شيء لينال بذلك الرقعة في الدنيا ، والنعيم في الآخرة ، وهذه هو النجاح الباهر للإنسان في الدنيا والآخرة.

الحكم بما أنزل الله

حينما اقتضت حكمة الله أن يكون الإسلام آخر الرسالات السماوية ، ويكون نبيه خاتم النبيين ، وأن تكون رسالته عامة لكل البشرية ، اقتضت في الوقت نفسه أن تكون تشريعاته مستوعبة كل ما تحتاجه البشرية من مبادىء ونظريات في حاضرها ومستقبلها ، في حياتها ويوم قيامتها ، مكتفية في غالب الأحوال بوضع القواعد العامة ، تاركة التفصيلات الجزئية في بعض الحالات ، للعلماء على اساس تلك القواعد والضوابط التي جاء بها الإسلام ، غير قابلة للتبديل أو التغيير ، لكنها مرنة بحيث تستوعب كل جديد في دنيا البشر ، دون اللجوء إلى التغيير في تلك القواعد وتبديلها كما يحصل ذلك للأنظمة والتشريعات الأرضية ، والدليل العملي على هذا أنه منذ فجر الإسلام إلى وقتنا هذا وهذه القواعد التشريعية ثابتة لم تتغير وفي الوقت نفسه تعطي الحلول الكل جديد في الحياة ، فاذا كان هناك بعض المسائل التي استجدت في الحياة ولم تحل بعد فإن ذلك لا يعني القصور في التشريع ذاته ، وإنما القصور في أفهام العلماء التي لم تتوصل بعد من خلال تلك القواعد العامة إلى ايجاد تلك الحلول والتي هي موجودة فعلا داخل اطار تلك القواعد من هنا نقول : إن تشريعات الإسلام لم توضع لعصر معين أو زمن محدد ،وإنما هي شريعة استوجبت طبيعتها ان تكون صالحة لكل زمن ، ولكل مجتمع في أي أرض كان ، وإلى أن يأذن الله بفناء هذه الدنيا ، والسبب في ذلك أنها منزلة من عند الله الذي يعلم مصالح عباده ، وليس من وضع الإنسان المحدود العقل والتفكير ، ولأن هذه التشريعات من وضع الله ، وتنفيذها عبادة لله ، فإن اتخاذ شريعة غيرها أو استبدالها بقوانين من صنع البشر امر محرم بل يؤدي إلى ما هو أكبر من ذلك يقول القرآن الكريم :(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ويقول : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) وقال : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) ، وعلى هذا فإن من استبدل حكم حد من حدود الله كحد القتل مثلا ، أو حد السرقة ، أو الزنا أو القذف بحكم آخر يتعارض معه صار كافرا ، وإن كل ما هو حاصل الآن في بلدان المسلمين من استبدال لاحكام الله

بقوانين أرضية ، داخل تحت الحكم بغير ما أنزل الله ، وكان المفروض على كل مسلم يسن له تشريع يخالف تشريع الله أن يرفضه لأنه عصيان الله وقد قال الرسول ﷺ :« لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » واذا كانت هذه القوانين الأرضية قد حلت في كثير من بلدان المسلمين محل شريعة الله ، بفعل النفوذ الاستعماري ، والتأثير الفكري لدى بعض ابناء هذه البلاد ، وبفعل الحكام الجهلة بالإسلام أو المنحرفين عن منهج الله وعدم تحرك العلماء لمحاربة هذه القوانين ، فإن تعاليم الإسلام ستظل باذن الله باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وما يدعيه جهلا أولئك الذين يزعمون أن تعاليم الإسلام بسبب التغيرات الكبيرة التي طرأت على المجتمعات البشرية لم تعد قادرة على مواجهة هذه التغيرات وان تطبيقها على مجتمعات هذا العصر أمر شبه مستحيل ، زعم مردود ، ذلك أن تعاليم الإسلام مضى عليها الآن أربعة عشر قرنا وهي ما تزال قائمة لم يطرأ عليها تغيير أو تبديل ، ومع التطور المستمر في المجتمعات عبر هذه القرون فإنها لم تقف في يوم من الأيام عاجزة عن التفاعل مع هذه التغيرات وكان موقفها ايجابيا لكل ما تتطلبه تلك التغيرات من ضوابط وحلول ، بقي موضوع التطبيق وهو أمر ندلل على امكانيته دون عناء ، لأننا نعيشه واقعا في هذه البلاد المقدسة فرغم ما طرأ على هذه البلاد من تغير كبير في مجال التجارة والصناعة والعمران وغير ذلك ورغم انفتاحها على العالم بكل انظمته وقوانينه ، فإن احكام الشريعة تطبق في كل مجالات الحياة الخاصة منها والعامة دون أن تعترضها عوائق أو تقف عاجزة عن مسايرة التطور ، ومن قال أو يقول غير هذا يكون مكابرا ، أو يتكلم من غير علم.

الجن

عالم الجن عالم موجود فعلا ، لكننا لا نستطيع رؤيته ، من أجل هذا كثرت الأوهام والخرافات فيهم ، فمن قائل : إنهم يعلمون الغيب ، ومن قائل : إن لهم سلطانا في الأرض ، ومن قائل : بانكار وجودهم اطلاقا وخاصة في هذا العصر الذي لا يكاد يصدق فيه إلا بالأشياء المحسوسة ، ولا ندري لماذا يجزم هؤلاء المنكرون بعدم وجود الجن ، مع أن الكشوفات العلمية ما زالت في دور الطفولة بالنسبة لما خلق الله في هذا الكون من عوالم لم يعرفها الإنسان بعد ولم يستطع العلم الوصول اليها ، وانطلاقا من هذا فإن الكشوفات العلمية لم تنته بعد ، وعدم اكتشاف العلماء للجن لا ينفي وجودهم ، ولا شك أن الإنسان عن طريق التقدم العلمي سوف يصل بتوفيق الله إلى اكتشاف أشياء مذهلة ، لكن سيظل يبحث وتنتهي به الحياة ، وتبقى أشياء ، من مخلوقات الله ، لا يعلم عنها أحد غير الله ، هذه حقيقة يجب أن تفهم ، وبين الاغراق في الوهم ، والأغراق في الانكار ، تأتي سورة كاملة في القرآن باسم سورة الجن ، تؤكد حقيقة وجودهم ، وتبدد تلك الأوهام والخرافات القائمة في الأذهان عنهم ، جاءت هذه السورة تقول في أول آية منها : (قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) وتأتي أية أخرى من سورة الرحمن تقول : (يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان).

ثم تأتي أية ثالثة من سورة الأحقاف تقول : (وإذ صرفنا إليك نفرة من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين) كل هذه الآيات وغيرها تدل على وجود الجن ، وانهم لم يسمعوا القرآن إلا من الرسول ﷺ ، وفي هذا رد على أولئك الذين كانوا يزعمون أن محمدا علي يتلقى ما يقوله لهم عن طريق الجن ، وما من شك في أن الرسول ﷺ قد بعث اليهم كما بعث إلى الأنس ، وأنه أبلغهم دعوة الله ، وانهم محاسبون على أعمالهم إن كانت حسنة أو غير حسنة ، شأنهم في ذلك شأن الانس ، وتؤكد السورة المساة

باسمهم ، بأن الذين استمعوا إلى القرآن استجابوا لدعوة الرسول ﷺ ، فاعترفوا بهداية القرآن ، وأنهم لن يشركوا مع الله أحدا في عبادته ، مع اعترافهم بتنزيه الله عن الزوجة والولد ، وأن سفهاءهم كانوا يقولون عن الله قولا غير صائب.

كما اعترفوا ايضا من خلال الآيات الواردة في سورتهم ، أنهم لا يعلمون الغيب ، وأنه لا نسب بينهم وبين الله ، وأن فيهم الصالحين وغير الصالحين ، ومنهم القابل للهداية وغير القابل لها ، وأن منهم المسلمين والمنحرفين عن منهج الله وأن من أسلم منهم نال السعادة ، ومن انحرف كان من أهل النار ، وأنه لم تعد لهم صلة بالسماء : (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ، وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا).

وهكذا يعترف الجن بوحدانية الله ، ونفي الشريك معه ، وأن أحدا من خلق الله لا يعجزه ، وأن الغيب موكول إلى الله لا تعرفه الجن ومع اعترافهم بأن علم الغيب من خصائص الله ، جاءت الآية من سورة سبأ تحكي جهلهم بعلم الغيب ، وذلك أن الله سخر طائفة من الشياطين لسليمان – وهم من الجن – وأنهم لم يعلموا بموته إلا بعد فترة من الزمن ، تقول الآية الكريمة في ذلك : (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين).

وعلى هذا فإن ما يعتقده بعض الناس من أن الجن يعلمون شيئا من علم الغيب إنما هو ضرب من الخرافة ، وما يراه البعض الآخر من انكار وجود الجن أمر يخالف صريح القرآن ، هذا يؤدي بصاحبه إلى الكفر ، لأن انكار وجود الجن فيه تكذيب للقرآن ومن كذب بشيء من القرآن ، فقد كذب الله ، ومن كذب الله فقد كفر.

الاحسان

كلمة الإحسان معناها اسداء المعروف إلى الناس جميعا ، ودفع الضرر عنهم بأي لون ، وعلى اي شكل كان ، ومعناها كذلك العمل على خلق مجتمع تسوده الرحمة ، وتشع فيه روح التعاون والمحبة ، ولقد اهتمت الأديان كلها بالإحسان ، وحضت عليه ورغبت فيه ، ودعت الناس اليه ، وكان الإسلام من أشد الأديان تحمسا لهذه الناحية الهامة في حياة البشر ، بل تعدى إلى ما هو أبعد من ذلك اذ امر بالإحسان إلى البهائم فلا تحمل فوق طاقتها ولا تضرب دون سبب ، واذا اريد ذبحها فليكن بآلة حادة حتى لا تتعذب كما جاء بذلك الحديث الذي يقول فيه الرسول ﷺ: « اذا قتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته. »

ولقد كان من مبادئه ، العطف على البؤساء والمعوزين ، وتضميد جراح المصابين والمنكوبين ، وتحسين حالة الفقراء والمساكين ، وما من مجتمع تعاوني إلا والإحسان دعامة من دعاماته ، وعامل من عوامل سعادته ، والمجتمع الذي لا إحسان بين أفراده مجتمع هزيل متداعي البناء ، لا يستحق أن يسمى مجتمعا بالمعنى المتعارف عليه بين المجتمعات الحية الواعية ، لأنه لا رابطة تجمع بين قلوب افراده ، ولا وسائل توحد بين مشاعره واحساساته ، ومجتمع كهذا أقل ما يقال عنه ، إنه في حاجة إلى شيء من التوجيه والتهذيب ، لأن المجتمع الواعي هو الذي يعمل على توطيد الصلات بين جميع افراده ، ويحرص بما لديه من امكانات أن يغرس معنى الخير والإحسان في النفوس.

وهنا وحيث توجد هذه الصفات الإنسانية الكريمة يبارك الله هذا المجتمع ويحفظه من التفكك والانهيار ، تلك هي سنة الحياة في المجتمعات البشرية التي تؤمن بأن الحياة تعاون ، وتألف ، وتراحم ، والتي تؤمن بأن بقاء المجتمع كأسرة متألفة القلوب ، متحدة الأهداف ، متوقف إلى حد كبير جدا ، على ما بينه من ترابط وعلى ما يشعر به افراده من تألف وانسجام.

وطرق الإحسان متعددة وكثية ، فهناك احسان فعلي ، وهناك احسان قولي ، وهناك احسان إلى فرد ، وإحسان إلى جماعة ، ثم هناك احسان إلى البشرية كلها ، فاغاثة الملهوف ، والتفريج عن المكروب ، والعفو عن المسيء احسان ، والتوفيق بين المتخاصمين ، والاصلاح بين المتشاحنين ، والتوجيه إلى ناحية من نواحي الخير ، والتحذير عن طريق من طرق الفساد إحسان ، ومعالجة المريض وتعليم الجاهل ، ونصح المنحرف ، وتشجيع المستقيم احسان ، ومحاولة انقاذ العالم من خطر يهدده ، احسان ، وحتى الكلمة الطيبة ، وازالة ما يؤذي من طريق الناس ، والخطوة لاداء فريضة من فرائض الله ، كل هذا احسان إلى الفرد نفسه ، وإلى المجموعة البشرية ، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ، تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل على دابته أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الاذي عن الطريق صدقة»

وإلى جانب ما للاحسان من فضل في تقوية الروابط بين أبناء المجتمع الواحد ، وماله من منافع ، لا تكون الحياة سعيدة دونها ، منح الله المحسنين حبه ، كما قال الله سبحانه وتعالى : (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) وأي شيء يمكن للإنسان أن يناله أفضل من محبة الله ؟ إنها الأمل الذي يداعب نفس العابد في محرابه ، والربح الذي يقصده المنفق من بذل ماله ، والثمرة التي يؤمل المحسن أن يجنيها من وراء احسانه ، والسعادة التي يحس بها كل أحد عندما تتحرك نفسه لفعل خير أو اسداء معروف.

وليس معنى الإحسان التشجيع على البطالة ، وتعويد الأفراد على التسول البغيض ولكنه مد يد الرحمة إلى من يستحق الرحمة ، الشيخ الهرم ، والمرأة العجوز ، والشاب العاجز عن العمل السبب من الأسباب ، ومن أصيب بكارثة في ماله.

أما من يقدر على الكسب ، ومن في استطاعته أن يعمل ، أو من لديه كفاف من الرزق فحرام عليه أن يطلب احسانا من الناس ، طالما أنه قادر على العمل ، أو ليس في حاجة إلى الاستجداء، ومن واجب المجتمع ألا يشجع القادرين على العمل على امتهان التسول كوسيلة من وسائل الرزق ، لأن الإسلام إلى جانب أمره بالإحسان ، وحضته عليه ، نهى المسلم عن التسول ، ووجهه إلى العمل ، حتى لا يكون عبئا ثقيلا على كاهل المجتمع.

والدولة بحكم وظيفتها الكبرى ، هي المسؤولة الأولى عن صيانة كرامة الفرد وعن محاربة المشاكل الاجتماعية ، لذا فإن من واجبها أن تعمل بكل الوسائل الممكنة لتحسين حالة الطبقة المعدمة أو الفقيرة ، بتوسيع مجالات العمل لمن يقدر وارغام من يقدر على العمل أن يعمل ليعيش عيشة فيها شيء من الكرامة وليصون وجهه من مذلة التسول ، أما من لا يقدر على العمل لسبب ما فتحسن اليهم ببناء ملاجىء لهم ، والقيام بما يلزم لشؤون حياتهم من غذاء وكساء ودواء ولا شك أن في هذا حفاظا على كرامتهم من المذلة والهوان. على أن كل فرد من أفراد الأمة عليه واجب نحو مجتمعه ، يعمل لرفع مستوى حياته ، ويبذل المعروف والإحسان لمن يستحقه ، وقد قال الرسول ﷺ: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه) ، وقال : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم ، وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر).

ومن هنا يتبين في وضوح أن الإحسان دعامة من الدعامات الهامة ، التي تقوم عليها حياة المجتمع الصالح المتماسك البناء ، الذي ينشد الخير للانسان من حيث هو إنسان.

سراب خادع

كثير من أولئك الذين فرضتهم الظروف غير السعيدة على شعوبهم والذين يسمون أنفسهم بالثوريين والتقدميين ، هم ولا شك أو اكثرهم فئات منحرفة ومتسلطة وفاشلة ، جعلت من بلادها مكانا للالحاد والتبعية والخراب ، ومن شعوبها تجارب للعسف والتنكيل والتعذيب ، وأرادت فوق هذا وذاك أن تجعل من نفسها وصيا على الآخرين ، فأحاطت نفسها بهالة من الدعاية الرخيصة وغير الشريفة ، جندت لها كل طاقاتها الاعلامية ، وبذلت من أجل ذلك المبالغ الخيالية التي اقتطعتها من قوت الشعب وكسائه ، لتبقى في الحكم من أجل الحكم فقط تنشر المباديء المنحرفة ، وتحارب الأخلاق والأديان لتصبح البشرية بعد ذلك قطعانا من البهائم ، ومجموعات من البشرية الشبيهة بالأنعام.

وتناعقت هذه الفئات المنحرفة ذات اليمين وذات الشمال ، وبدأت بأبواقها المزعجة المؤذية تنشر الأضاليل ، وتتلاعب بأفكار البسطاء من الناس مستخدمة في ذلك بائعي الضمائر ومشوهي الحقائف ، ومن بعض رجال الفكر والصحافة وحتى رجال العلم الذين يعرفون الإسلام عن فهم وادراك جروا ألسنتهم ليحرفوا المعاني من دين الله لكي تتلائم والمبادىء التي يدعون اليها ، ليظن الفلاح انه سوف ينهال عليه الخير من مزرعته ، ويتصور العامل انه سوف ينعم بانتاج مصنعه ، ويعتقد الفقير انه سوف يجد رغدا من العيش له ولعياله، ويتخيل صاحب كلمة الحق المخلصة انه سوف يقول في حرية كلمته ، ولكن شيئا من هذا كله لم يكن ، ومن هنا خاب ظن هذا وذاك وصار الأمر كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا.

وعن طريق التضليل ، وتحريف الكلام عن مواضعه والتلاعب بالعقول استباحوا كل شيء ، واستولوا على كل شيء . ثم ساروا في طريق فشل وهزائم غير مراجعين حساب الربح والخسارة ، أو مقدرين ضياع العزة والكرامة وكان الأجدر بهؤلاء وامثالهم أن يتراجعوا في

عزة عن هذا السقوط المستمر المهين ولكن آنى لهم وقد أصبحوا لا يستطيعون التصرف في كثر من أمورهم إلا بتوجيه من خارج بلادهم.

ولئن كان هؤلاء قد سموا هذه الهزائم انتصارات ، وسموا الخسائر مكاسب ، فان الأمور سوف تظهر على حقيقتها يوما ما ، وسيسجل التاريخ كل شيء ودون مجاملة ، كل فصول المسرحية التي مثلت أو ستمثل على مسرح الحياة ، وسيعرف الناس كل الناس من هم المخادعون والمضللون ، ومن هنا يتميز الخبيث من الطيب ويظهر أصحاب النوايا الحية ومن انطوت نفوسهم على الحقد والكراهية وفرق بين هؤلاء وأولئك في تحقيق الرخاء والخير والمساواة وصدق الله إذ يقول : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

لقاء مع الله

مجموعة العبادات والتشريعات التي جاءت بها الأديان السماوية إنما تهدف بالدرجة الأولى إلى تهذيب الروح وتنويرها ، وتنمية جوانب الخير في النفس ، لتشرق صافية نقية ، والصلاة التي فرضت على المسلم فيها تطهير وتهذيب لانه كلما لج العقل في طغيانه وأرادت النفس أن تتحدث بمكروه أو تتجه نحو المعصية جاءت الصلاة لتربط بين الإنسان وربه في لحظة روحية تتكرر في اليوم والليلة خمس مرات ، وهذا اللقاء المتكرر مع الله ، يحي في نفس الإنسان معنى الخير ، وينبه فيها جانب الخوف من التعدي على ما هو محرم أو مكروه لذا كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر بمعنى انها تجعل الإنسان دائما في صلة مع الله يعبده كأنه يراه ، والصلاة ركن من اركان الإسلام فرضت لأول ما فرضت خمسين صلاة في اليوم والليلة ثم خففت إلى خمس صلوات بأجر خمسين صلاة ، وهذه الصلاة واجبة على كل فرد من أفراد المسلمين ، في الحضر وفي السفر في الصحة وفي المرض ، في حالة الحرب ، وحتى في ميدان المعركة أثناء القتال ، يصليها كل واحد بحسب استطاعته ، والصلاة لم تشرع من اجل هذه الحركات التي هي الركوع والسجود فحسب ، وإلا تصبح مجرد عمل شكلي لا صلة له بصقل الروح وتهذيب النفس لذا فإن المهم في الصلاة الخشوع والخضوع والتذلل اعترافا بالعبودية الخالصة لله ، وخروجا بالعقل والروح من عالم الحياة الفانية إلى عالم الملكوت الأعلى ، حيث يتنقل المرء بروحه بين الجنات وامكنة الخلود حيث توجد الحياة الخالدة الباقية.

ولم تكن فريضة الصلاة وقتية وليس المقصود منها الرياضة البدنية كما يزعم ذلك الملحدون ، بل تشريعها باق ما بقي الزمن وهي رياضة روحية تربي في النفس كل وسائل الخير ، وتغرس في القلب كل معاني السعادة من تركها عامدا متعمدا برأت منه ذمة الله كما ورد ذلك في حديث رسول الله ﷺ، فإذا تخلى الله عن عبده فالى أين يذهب وإلى من يلتجيء؟ وتهاون المسلمين في عصرنا بشأن الصلاة امر أخبر عنه رسول الله ﷺ حين قال : « نزل جبريل فقال اقرأ فقلت وما

اقرأ ؟ قال : اقرأ (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) فقلت :ياجبريل وهل تضيع أمتي الصلاة من بعدي ؟ قال : نعم يأتي في آخر الزمان اناس من امتك يضيعون الصلاة ويؤخرون الأوقات ويتبعون الشهوات ، دينار عندهم خير من صلاتهم. »

نسوق هذا الكلام لكل أولئك الذين يتهاونون بالصلاة إما بتركها أو بتأخيرها عن اوقاتها مذكرين اياهم بحديث رسول الله ﷺ الذي جاء فيه (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر).

عيبك أولا

هناك مثل يقول : من كان بيته من زجاج ، فلا يقذف نوافذ الناس بالحجارة ، يعني من كانت له عيوب فلا يتتبع عيوب الآخرين ، دون أن يضع في اعتباره عيوب نفسه ، ولو بحثنا في دنيا البشر لما وجدنا شخصا لا عيوب فيه ذلك أن الإنسان اى انسان كان بطبيعته عرضة اللهفوات والأخطاء ، وليس ثمة شخص معصوم عن الوقوع في الاخطاء المحرمة إلا الأنبياء والمرسلون ، والناس في دنياهم كتب عليهم أن يخطئوا عن قصد أو غيره ، والبعض من عباد الله رغم انه يخطيء وقد تكون أخطاؤه في كثير من الأحيان أكثر من غير ، لا يعترف بهذه الأخطاء ، وحتى لو عرف ذلك من نفسه فسوف ينتحل لنفسه المعاذير وسوف يبرر عمله بما لا يكون مقبولا في نظر الناس ، والذين ينتهجون هذا المنهج السيىء لا تكفيهم هذه المغالطة المفضوحة ، ولا يحجزهم عن الوقوع في أعراض عباد الله ما هم واقعون فيه من ذنوب وآثام ، ولا يمنعهم من اتهام الآخرين ، عيوب مثيرة هم يعرفونها عن انفسهم ، كإنما هم في حل مما يعملون.

أما غيرهم من عباد الله ، فليس لأخطائهم ما يبررها ، وليس لعذرهم ما يجعله مقبولا أو معقولا ومن اجل هذا فلن ينجيهم من الذم والتجريم والاتهام بما كان وما لم يكن عذر أو اعتذار ، متناسين ذلك الحديث القدسي الذي يقول : (ياعبادى انكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم) متوهمين انهم يعرفون من الناس ما يجهله الناس من أحوالهم.

إن هؤلاء لو أصلحوا عيوبهم ولم يحاولوا المراوغة والخداع ، لما كان هناك مجال لأن يطعن في سلامة اتجاههم ، ولما انطبق عليهم ذلك المثل القائل : (**من كان بيته من زجاج فلا يقذف نوافذ الناس بالحجارة**) ، ومن أجل هذا ، فان من العبث بقوانين الحياة ومن الخداع المذموم

أن يدعو إلى الإصلاح من ليس صالحا ، وإلى النزاهة من ليس من أهلها ، وإلى الفضيلة من يتمرغ في وحل الرذيلة.

ولقد ورد : أن من أسر سريرة ألبسه الله رداءها ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، فخداع الناس وايهام المرء نفسه بأن الآخرين لا يستطيعون كشف أخطائه نوع من التفكير الأبله.

ولقد كان من الخير لمثل هذا النوع من الناس أن يراقبوا الله في أعمالهم ويظهروا للناس على حقيقتهم فالله مطلع على كل شيء ، وسيجازي كل عامل بما عمله وما على الإنسان بعد ذلك إلا أن يختار لنفسه طريق النجاح أو طريق الهلاك ، وما كان للمرء العاقل إلا أن يختار لنفسه طريق الخير.

النظافة

من مبادىء ديننا وأبرز مميزاته حرصه على النظافة وعلى أن يكون المسلم نظيفا ، في عقله ، وتفكيره، في نفسه وأهدافه ، وحتى في جسمه ولباسه فالملابس النظيفة ، والأجسام النظيفة ، والبيوت النظيفة ، والأواني النظيفة كل هذه اشياء مطلوبة ومحبوبة.

وما كان الأمر بالوضوء ، والغسل ، والسواك ، وتقليم الاظافر ، إلا من أجل أن يكون مظهر المسلم دائما في منأى عن الاحتقار ، والازدراء وبعيدا عن كل ما تتقزز منه النفس وتعافه العين.

والنظافة التي نقصدها هنا هي التي عناها محمد ﷺ بقوله : (احسنوا لباسكم ، واصلحوا أرواحكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس).

ومن هنا نعلم أن الإسلام يحرص أشد الحرص على أن يكون المسلم دائما في هيئة كريمة ومظهر كريم ، واذا كان أعداء الإسلام قد اعتبروا بعض المظاهر لدى بعض المسلمين دليلا على أن دين الإسلام ، دين دعوة إلى التأخر والجمود ، وعدم الاعتناء بالنفس على اعتبار ان الدنيا فانية ، وان عمر الإنسان محدود لا يستحق الاعتناء به ، فإننا نقول لهم ودون تردد إن هذه المظاهر التي اتخذها أعداء الإسلام مطعنا عليه ، ليست منه ولا هو منها والجماعة التي اتخذها أعداء هذا الدين بمظهرها دليلا على أن الإسلام دين متحجر ضيق الأفق ، يزهد المسلمين حتى في مظهر أجسامهم ولباسهم جماعة لم تفهم الإسلام على حقيقته ولذا فهي لا تمثله من قريب أو بعيد . ولربما يكون الواجب هنا أن نقول:

إن الإسلام لم يأمر المسلم بأن يعفر وجهه في أمكنة العبادة ، ويعطل شؤون حياته ، ولم يأمره بأن يلبس من الثياب ما اتسخ ، ومن الجوارب ما تخرق . بل كان أمره صريحا بأن يلبس المسلم من الثياب احسنها ، ومن الحلل أجملها ومن أجل ذلك فان تعفير الوجوه بالتراب

اظهارا للزهد ، وترك الشعر مهانا قذرا إعلانا للاستهانة بالحياة ، وتعمد اهمال الجسم من النظافة تظاهرا بالتقى والصلاح ليس من الإسلام في شيء.

يروى أن فرقدا السنحي كان يلبس المسح ، فلقي الحسن البصري وكان يلبس ثوبا بأربعمائة درهم ، فقال له فرقد : ما ألين ثوبك ؟ فقال الحسن : يا فرقد ليس لين ثيابي يبعدني عن الله ، ولا خشونة ثوبك تقربك من الله ، إن الله جميل يحب الجمال.

وبعد : فهل نحن على استعداد لأن نضرب للعالم المثل الحسن في نظافة النفس واليد والعرض ، وننقل اليه هذا الإسلام في صورة مشرقة ومظهر كريم ؟ إننا إن فعلنا ذلك نكون قد أدينا بعض ما يجب نحو هذا الدين القائم على دعوة الإنسان إلى أن يكون نظيفا في كل أمر من اموره.

الجهاد

الجهاد في سبيل الله من أفضل القربات إلى الله تعالى ، ومن أقوى الأسباب التي تحقق للإنسان دخول الجنة (إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله) . ويروي المقدام بن معد يكرب عن النبي ﷺ قوله : (للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقربائه) رواه الترمذي وابن ماجة.

وقد فرض الجهاد من أجل اعلاء كلمة الله ، والدفاع عن دينه ، وهو فرض كفاية اذا قام به من فيهم الكفاية من المسلمين سقط الإثم عن الباقين ، لكنه يكون فرض عين عند حصول الأمور التالية:

١ – اذا تقابل المسلمون مع الأعداء وجها لوجه .

٢ – اذا حاول الكفار احتلال بلد من بلاد السلمين وجب على أهل البلاد كلهم القتال .

٣ – اذا طلب ولي أمر المسلمين النفير العام لقتال الكفار كان القتال فرض عين.

ولم يفرض الإسلام الجهاد على المسلمين ، كأداة للعدوان ، ولا وسيلة لمطامع مادية ولذا كان المسلم قديما يخرج للقتال وما في نفسه سوى أمر واحد هو أن يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا ، وليس كما يزعم المبشرون ومن سار على نهجهم من أن الدافع للجهاد عند المسلمين في صدر الإسلام كان دافعا ماديا وإنما هو كما قلنا دافع ديني يدفع المسلم أن يقدم دمه فداء العقيدته.

وكما فرض الإسلام الجهاد فانه إلى جانب هذا حرص على استتباب الأمن والسلام قال تعالى : (وإن جنحوا للسلم فأجنح لها وتوكل على الله) ، وقد لخص ابن القيم رحمه الله مراحل الجهاد في سبيل الإسلام تلخيصا جيدا ، فقال في كتابه زاد المعاد : (أول ما أوحى الله إلى نبيه عنه ، أن يقرأ باسم ربه الذي خلق ، وذلك أولى نبوته فأمره أن يقرأ في نفسه ، ولم يأمره اذ ذاك بتبليغ ، ثم أنزل عليه : (يا أيها المدثر قم فأنذر) فنبأه بقوله (اقرأ) وأرسله ب : (يا أيها المدثر). ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين ، ثم أنذر قومه ثم أنذر من حولهم من العرب ، ثم أنذر العرب قاطبة ، ثم أنذر العالمين فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ، ويؤمر بالكف والصبر والصفح ، ثم أذن له في الهجرة ، وأذن في القتال ، ثم أمره أن يقاتل من قاتله ، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله ، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله الله ، ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام ، أهل صلح وهدنة ، وأهل حرب ، وأهل ذمة ، فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم وأن يوفي لهم به ما استقاموا على العهد ، فان خاف منهم خيانة نبذ اليهم عهدهم ، ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد ، وأمر أن يقاتل من نقض عهده ، ولما نزلت سورة براءة ، نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها ، فأمر أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ، أو يدخلوا في الإسلام وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم فجاهد الكفار بالسيف والسنان ، والمنافقين بالحجة واللسان ، وامر فيها بالبراءة من عهود الكفار ونبذ عهودهم إليهم ، وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام : قسما أمره بقتالهم وهم الذين نقضوا عهده ، ولم يستقيموا له فحاربهم وظهر عليهم ، وقسما لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ولم يظاهروا عليه ، فأمره الله أن يتم لهم عهدهم إلى مدتهم ، وقسما لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه ، أو كان لهم عهد مطلق ، فأمر أن يؤجلهم أربعة أشهر فاذا انسلخت قاتلهم ، فقتل الناقض لعهده ، وأجل من لا عهد له أو له عهد مطلق ، أربعة أشهر ، وأمره أن يتم للموفي بعهده إلى مدته ، فأسلم هؤلاء كلهم ولم يقيموا على كفرهم إلى مدتهم ، وضرب على أهل الذمة الجزية ، فأستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام : محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمة ، ثم آلت حال اهل العهد

والصلح إلى الإسلام فصاروا معه قسمين : محاربين وأهل ذمة والمحاربون له خائفون منه ، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به ، ومسالم له آمن ، وخائف محارب).

وعلى أي حال فقد حذر الإسلام المسلمين من ترك الجهاد في سبيل الله وأخبر أن تركه يسبب أضرارا بالغة الخطورة ، يروي عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : (إذا تبايعتم بالعينة ، واتبعتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم).

وإن تعجب فاعجب لذلك الثوب الذي ألبسه المبشرون لكلمة الجهاد ، ونظرتهم التي تتمثله صورة لمجموعات متوحشة متعطشة إلى سفك الدماء لكل من لا يشهد أن لا إله إلا الله ، بينما هم بدباباتهم وطائراتهم وصواريخهم وبوارجهم وكل وسائل الفتك لديهم يعتدون على الشعوب الضعيفة للاستيلاء على خيرات بلادهم والقضاء على عقائدهم ، مستعملين في ذلك كل وسائل الدمار والخراب غير آبهين بأرواح الأبرياء من البشر مهما كانت أعداد الضحايا من أهل تلك البلاد ، ومهما كانت الخسارة في ممتلكاتهم ، ومرافق حياتهم ، ما دام ذلك يحقق مطالبهم التي ليست من أجل الله ، ولا من أجل خير الإنسان، وإنما هي في الدرجة الأولى والاخيرة من أجل مصالح الدنيا.

ولا شك أن الفرق كبير بين الجهاد في الإسلام من أجل إعلاء كلمة الله وإسعاد الإنسان وبين العدوان من أجل التسلط على الضعفاء وامتصاص خيرات بلدانهم دون وجه حق إلا لأنهم ضعفاء لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم.

الإيمان باليوم الاخر

عندما يختل نظام الكون ، ويفنى كل من فيه وما فيه من مخلوقات وتبدل الأرض غير الأرض والسموات هناك يبدأ اليوم الآخر ، لكن متى وفي أي وقت ؟ هذا مالا يعمله إلا الله ، لأنه من مفاتيح الغيب التي لا يعلمهن إلا الله (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت) واليوم الآخر له أسماء كثيرة منها يوم الساعة (اقتربت الساعة وانشق القمر) (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) ويوم الطامة (فاذا جاءت الطامة الكبرى ، يوم يتذكر الإنسان ما سعى) ويوم الدين (مالك يوم الدين) يعني يوم الجزاء ، ويوم الحسرة (وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) ويوم الحاقة (الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة) ويوم الواقعة (اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة).

واليوم الآخر معناه اعادة الحياة إلى الإنسان بعد فنائه روحيا وجسديا وهذا ليس بمستغرب على الله الذي أوجد الإنسان عند نشأته الأولى من العدم إلى الوجود ، أن يعيد الحياة اليه من جديد ، يؤكد هذا المعنى ما ورد في قول الله تعالى :(وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم ،قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وهذا يبطل عقيدة الملحدين القائمة على أن لا حياة بعد الموت ، والتي لا تقوم على دليل علمي ثابت ، وكل ما هنالك أن عقولهم لم تهضم (لنقص فيها) أن أجساما تموت ، ثم تذوب في التراب ، ثم تعود حية كما كانت ، وهذا ناتج عن خلو قلوبهم من الإيمان بقدرة الله التي لا حدود لها ، فقالوا كما حكي الله عنهم : (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) فعقيدتهم بنص الآية الكريمة ، لا تقوم إلا على الظن وعلى أنهم ما رأوا انسانا عاد إلى الحياة بعد موته ، وهذا مردود بأننا إذا كنا لا نعرف ماذا يكون بعد الموت ، فكيف نعتقد بأنه لا حياة بعد الموت قبل أن يأتي اليوم الذي وعد الله فيه باعادة الحياة إلى الأجساد وبعد موتها ؟ وكيف ننكر شيئا لم يحن وقته بعد ، وهو الوقت

الذي أجمع فيه علماء الطبيعة انفسهم على أن الشمس ستفقد حرارتها ونورها في يوم من الأيام ، وأن النجوم سيختل نظامها ، وأن هذه الدنيا ستفني ؟ أقول كيف يمكن انكار شيء لم يحن بعد وقته الذي حدده الله له ؟ فلينتظر أولئك الملحدون إلى أن يأذن الله بفناء هذه الدنيا ، ثم لينظروا هل الله قادر على احياء الناس بعد موتهم أم لا؟ وهنا يحق لهم اذا لم يرو الله قد أعاد الحياة للموتى أن يستمروا على عقيدتهم ، أما نحن المؤمنين فلسنا في شك أبدا في أن الله الذي يحي الأرض بالمطر قادر بأن يقول للشيء كن فيكون ، إن خلق الإنسان بعد موته أهون عليه من خلقه في البداية.

والذي لا شك فيه أن الإيمان باليوم الآخر أمر ضروري ، ذلك أن الانسان عندما يكون مؤمنة بالثواب والعقاب ، وأن هناك يوما يجازى فيه كل عامل بما عمل فإن إيمانه هذا يدفعه إلى الترفع عن مهاوي الرذيلة أيا كان شكلها ، رجاء الثواب من الله ، أما اذا كان غير مؤمن باليوم الآخر ، وما فيه من حساب ، فإنه لا يتورع عن ممارسة أي عمل اجرامي مهما كان نوعه .

وعلى أي حال فإن يوم القيامة ، هو اليوم الذي تتكشف فيه الحقائق وتظهر فيه الأسرار ، وتنشر فيه الصحائف ، ويتجلى فيه عدل الله بين الابرار والفجار وتشهد فيه على كل انسان جوارحه بما عمل (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين).

شئ عن نعيم الجنة

هذه الأيام التي يعيشها الإنسان في هذه الدنيا بما فيها من حسن وقبيح وحلو ومر ، وسعادة وشقاء ، أيام محدودة تنتهي بانتهاء الأجل الذي حدده الله لكل كائن في هذا الوجود ، فإذا ما أذن الله بفناء الدنيا واجتمع الخلق، كل الخلق في ذهول تام في انتظار المواجهة بما عمله كل انسان في دنياه من خير أو شر ، هناك وفي ذلك الموقف الرهيب يتقرر مصير الإنسان اما إلى الجنة واما إلى النار ، والجنة هي تلك الدار التي أعدها الله للاتقياء الصالحين من عباده ، وهي دار الخلود التي أعد الله فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وللجنة عدة أسماء ، منها جنة المأوى ، والفردوس ، ودار السلام ، ومهما تحدث الإنسان عن وصف نعيم الجنة فإنه لا يعدو أن يكون وصفا تقريبيا ، فنعيمها فوق طاقة العقول وما جاء في القرآن الكريم من أن في الجنة أنهارا من ماء غير آسن ، وأنهارا من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهارا من خمر لذة للشاربين ، وأنهارا من عسل مصفى ، وأن أهل الجنة يطوف عليهم خدم من الولدان كأنهم اللؤلؤ المنثور ، يحملون أواني من ذهب وأكوابا ، وأن فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ به الأعين ، وأن لباسهم الحرير وحليتهم الذهب ، ومساكنهم تجري من تحتها الأنهار ، وان زوجاتهم كالبيض المكنون ، ومطهرات من عيوب نساء الدنيا ، وأن الأنهار تجري من تحت قصورهم وأن بها ثمار متشابهة : كل هذه الأشياء وغيرها مما ورد في القرآن ما هو موجود في دنيا البشر إنما هو من أجل تقريب ما في الجنة من نعيم إلى الأفكار وإلا فإن كل ما في الجنة من نعم ، أرق وأفضل ما هو موجود في الدنيا.

يروى البخاري ومسلم والترمذي أن رسول الله ﷺقال : (إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشهم المسك ، ومجامرهم الألوة ،

أزواجهم الحور العين . على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء).

وأعلى نعيم في الجنة هو رؤية الله عز وجل ومناجاته ، كما قال الله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة).

وأهل الجنة يبقون دائما منعمين في الجنة ، فلا موت فيها ولا فناء ولا صخب ولا عناء ، لكن ما هي الوسيلة التي توصل الإنسان إلى هذه الحياة ذات النعيم الخالد الذي لا يزول ؟

سؤال اجابته تأتي في كلمة واحدة : العمل الصالح ، التجارة الرابحة كما قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم) حقا انه لفوز عظيم لمن آمن بالله وعمل صالحا وقال إني من المسلمين ، وأنه لسعادة لا تعادلها سعادة حينها يتحقق للإنسان دخول الجنة ، التي لا ينالها صاحب ملك من أجل رئاسته ، ولا صاحب مال لكثرة ماله ، وإنما ينالها ذلك الإنسان الذي استجاب لأمر الله فانقاد له طائعا مختارا يرجو رحمته ويخشى عذابه ، باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، من أجل هذا وحتى يعيش الإنسان في ظل الله آمنا مطمئنا ، لابد وأن يكون ملتزما بتعاليم الله بعيدا عن الذنوب والآثام ، ليكون من الخالدين في جنات النعيم.

شيئ عن أهوال النار

كما أن الله جلت قدرته جعل ثواب الطائعين المتقين الجنة ، كذلك جعل جزاء العاصين والمنحرفين النار ، وهو جزاء عادل ، وإلا لما كان هناك فرق بين من يحرم نفسه كثيرا من ملاذ الحياة خوفا من الله ، ومن يرتكب الكثير من الجرائم دون وازع من دين ، فهذا ولا شك عدل من الله بين عباده ، وكما تحدثنا عن شيء من نعيم الجنة ، نتحدث هنا عن شيء من عذاب النار ، هذه النار نعوذ بالله من شرها ، تسمى سقر ، قال الله تعالى : (سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقي ولا تذر ، لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر) وتسمى الهاوية كما قال الله تعالى : (وأما من خفت موازينه ، فأمه هاوية ، وما أدراك ما هيه ، نار حامية) وتسمى الحطمة كما قال الله تعالى : (كلا لينبذن في الحطمة ، وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة ، إنها عليهم مؤصدة ، في عمد ممددة).

وقد ورد أن هذه النار أوقد عليها الف سنة حتى أحمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اصفرت ، ثم أوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة ، وأن أهون أهلها عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ، ما يرى أحدا أشد منه عذابا ، وانه الأهونهم عذابا ، كما ورد بذلك الحديث عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ ، وأن أهلها لا يموتون فتحصل لهم الراحة ولا يحيون حياة فيها رائحة السعادة وأنهم لشدة العذاب وقسوته يودون لو كان ذلك في مقدورهم أن يفدوا أنفسهم بكل شيء ليستريحوا من هول العذاب ، ولكن أنى لهم وقد فات الأوان ، فلا فدية تنفع ولا عذر يقبل ، يقول القرآن الكريم في ذلك : (يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبته وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه ، ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه) ويقول : (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيز حكيما) ويقول : (هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من

فوق رؤوسهم الحميم ، يصهربه ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق).

ومع هذا وذاك فاذا مسهم الجوع وكادت أمعاؤهم أن تتقطع من ألمه اطعموا من شجرة من أقبح أنواع الشجر مرارة ونتانة ، تلك هي شجرة يقال لها الزقوم قال عنها القرآن الكريم :(أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم ، إنا جعلناها فتنة للظالمين ، إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين ، فإنهم لأكلون منها فمالئون منها البطون ، ثم إن لهم عليها الشوبا من حميم).

ومهما أسهبنا في وصف النار فلن نرى إلا أوصافا تنخلع منها القلوب وتسيل منها العيون ، ويكفي أن نقول : إن نارنا هذه التي نوقدها إنما هي جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ، فاذا كان الأمر كذلك ، وأن الإنسان بسبب سوء اعماله ، قد يكون من أهل النار ، فان العاقل البصير يستطيع أن يجنب نفسه هذا المصير السيىء وذلك عن طريق التزامه بأوامر الله ، وابتعاده عن المحرمات التي نهى الله عنها ، فاللهم إنا نسألك الجنة وما قرب اليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول أو عمل.

الأمر بالمعروف

التوجيه باللطف ، والارشاد بالحكمة والموعظة الحسنة ، معناه الاتجاه بالمجتمع في الطريق المستقيم ، طريق الخير ، وطريق تحرير الفرد من الأنانية والنزعات المنحرفة ، ودون شك فإن لكل مجتمع أخطاءه وهفواته ، وليس هناك مجتمع مثالي لا توجد فيه أخطاء أو هفوات ، وحتى في أزهى عصور الإسلام ، كانت هناك بعض الانحرافات وبعض الأخطاء وفي المجتمعات الكبيرة وغيرها ، والوسيلة التي يمكن بها معالجة هذه الأخطاء وتلك الهفوات ، هي التوجيه القائم على العلم والفهم ، وعلى صلاح النية وصفاء القصد ، ومن هنا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرورة تفرضها طبيعة الحياة البشرية ، من أجل اصلاح المجتمع وتصحيح أخطائه.

ومهمة توجيه الناس ، ومحاولة التقليل من شأن ما ورثوه من تقاليد وما ألفوه من عادات ليس من اليسير قبوله بسهولة ، والظن بأن مشاكل المجتمع في هذا العصر يكفي للقضاء عليها بأن يقال للناس هذا حلال وهذا حرام فتزول المشكلة ظن مجانب للمنطق والواقع ، اذا لا بد الأسلوب الأمر بالمعروف أن يتغير ، ولا بد لطريقة علاج المشاكل ان تأخذ شكلا غير شكلها الأول ، ثم ولابد كذلك للرجال المفرغين لهذا العمل أن يكونوا من ذوي العلم الواسع والاطلاع الكبير والفهم العميق لمشاكل المجتمع وطرق حلها ، حتى يستطيعوا أن يقرعوا الحجة بالحجة ، والمنطق بالمنطق ، والدليل بالدليل ، ذلك أن مشاكل المجتمع لا تزول من النفوس إلا بالدليل أن أمكن ، أو بالمنطق العقلي اذا لم يكن.

والعقول دائما تقف امام الحجة المنطقية السليمة في اذعان وتسليم ، والطريقة التي يسير عليها المتفرغون للأمر بالمعروف ، طريقة عديمة النفع ، وكل ما تستطيعه هذه الطريقة من عمل إن قدر لها شيء من النجاح ، هو ألا تترك مجالا لممارسة الرذيلة على مرأى ومسمع من المجتمع ، ولكنها لا تستطيع على ازالتها من النفوس ، فمثلا شخص يمارس عملا لا يتفق مع

الاداب العامة اجبر بالقوة على ترك ذلك العمل ، فهل معنى هذا أن هذا الشخص بهذه الطريقة سوف يقلع حقيقة عما كان يقوم به من عمل ؟ لا اظن ذلك ، والواقع يؤكد ذلك ، إذا فان طريقة علاج المشاكل هي الاقناع بالحكمة والموعظة الحسنة ، والتوجيه الحكيم ، وهذا غير ممكن اذا لم يسند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى ذوي كفاءات علمية ممتازة ، يعرفون كيف يأمرون ، ومتى ينهون ، وبأي طريقة ينفذون باسلوبهم إلى أعماق النفوس.

آية المنافق ثلاث

حديث ورد عن الرسول ﷺ ، يقول فيه : (آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان) صفات ثلاث كل واحدة منهن لها مضارها ، ولها آثارها المدمرة في المجتمع ، ففي الكذب مثلا طمس للحقائق ، واضاعة لمعالم الجريمة إلى جانب مفاسده الكثيرة والعديدة واشد انواع الكذب الكذب على الله وعلى رسوله وشريعته ، وادني ما يجره على المجتمع العداوة ، وافساد العلاقات ، واحداث الفتن ، وزعزعة الثقة بين الناس ، وكلما كان الكذب منتشرا في المجتمع ، كلما كانت الثقة بين افراده ضعيفة أو معدومة وهذا بدوره يؤدي إلى أن يكون التعامل بين الناس قائما على الظن السييء وفي هذا ما فيه من قضاء على الظن الحسن الذي ينبغي أن تقوم العلاقة عليه بين المسلم واخيه ، ومن النتائج السيئة التي يجلبها الكذب على من عرف عنه الكذب ، نظرة المجتمع اليه باحتقار شديد ، وفقدان الثقة فيما يقوله حتى ولو كان صادقا ، ولقد صنف رجال الجرح والتعديل رواة الحديث إلى فئات ، ومنهم فئة سموهم الكذابين ، وهم الذين لا يعتمد على ما يروونه من أحاديث بسبب اشتهارهم بالكذب ، من أجل هذا فالعالم اذا عرف عنه الكذب في دين الله ، والتاجر اذا عرف عنه الكذب في تعامله مع الناس ، والموظف اذا اشتهر بالكذب في اعمال وظيفته كل هؤلاء وامثالهم يسقطهم المجتمع من حسابه ، لعدم الثقة فيهم ، وحينها يفقد الإنسان قيمته في المجتمع يكون بذلك قد خسر الجزء المهم من حياته. .

وفي خلف الوعد، عدم وفاء بالالتزامات العامة والخاصة ، وفي هذا مخالفة لأمر الله سبحانه وتعالى حين قال : (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) وعدم اطمئنان إلى احترام العهود والمواثيق الدولية ، أو العقود التي تتم بين الأفراد ، فخلف الوعد ، وعدم الإلتزام بالعهد أمر يفقد كل العهود والمواثيق قيمتها ويسلبها قدسيتها واحترامها ، كما أن عدم الوفاء بالوعد ، في تسديد الديون ووفاء القروض واعطاء الحقوق ، يجعل التعامل فيما بين افراد المجتمع صعبا للغاية ،

ويحدث الكثير من الأحقاد والمشاحنات ، وفي هذا ما فيه من خطورة لا على المجتمعات الصغيرة فحسب، وإنما على المجتمع البشري كله.

وفي خيانة الأمانه ، فساد للضمير ، واستحلال للحرام ، وخيانة الله والتساهل في تنفيذ أوامره وانتهاك حرماته اشد جرما من خيانة الناس في أموالهم فالإنسان الذي يعاقر الخمر ، ويرتكب جريمة الزنا ، أو يتهاون بالصلاة والزكاة أو الصوم ، أو يتعامل بالربا خائن لله ، لانه تعدى أوامر الله ، والذي يؤتمن على الأموال سواء كانت هذه الأموال لبيت مال المسلمين ، أو المؤسسات العامة أو الخاصة أو غير ذلك. ثم يأخذ منها شيئا بغير حق فهو خائن لأمانته .

وبعد فان هذه الصفات الثلاث الكذب ، وخلف الوعد ، والخيانة ، وأيم الله صفات كثر المتصفون بها في المجتمعات البشرية كلها ، فكثر بسببهم الفساد والانحلال ، وانتشرت بواسطتهم الجرائم والمنكرات ، ولن تختفي الجريمة ما بقيت هذه الصفات المقيتة في المجتمع ، لذا فان على خطباء المنابر ورجال التربية والتعليم ، والقائمين على وسائل الاعلام ، مسؤولية تحذير المجتمع بكل طبقاته من هذا الوباء المدمر للقيم والأخلاق ، كما أن على الآباء والأمهات ، تعويد الأولاد منذ الصغر ، على الصدق والأمانة والوفاء بالوعد ليوجد المجتمع الصالح النظيف ، والمواطن الفاضل النزيه.

واجب العلماء

رسالة العلماء في دنيا الناس ، هي رسالة الأنبياء سواء بسواء ، ومسؤوليتهم أمام الله حينما يتنكرون لرسالتهم ، أو يتهاونون في القيام بها هي أخطر مسؤولية يمكن أن يواجهها إنسان مهما كان عمله . وبحكم وظيفتهم في الحياة ، ولأنهم ورثة الأنبياء ، يجب أن يكونوا المثل الأعلى في الورع والتقى ، والعفة والأمانة وفي قوة الإيمان ، وتوجيه البشر إلى طريق السعادة والخير . ومن غير العلماء يا ترى يستطيع أن يسير بالمجتمع في هذا الطريق المنشود ، إذا هم وفقوا إلى الاحساس العميق بواجب مسؤوليتهم تجاه المجتمعات البشرية التي تنظر اليهم على أنهم المرآة الصادقة التي تنعكس عليها تعاليم الدين ؟ وكدليل ناصع لهذه العقيدة الثابتة ، نجد الجماهير تضع فيهم ثقتها الكاملة فيما يتصل بالدين.

ومن هنا كان خطر العلماء على المجتمعات إذا ضلوا الطريق عن قصد أو غير قصد لأن انحراف العالم معناه انحراف المجتمع ، لذا كان حسابهم حين ينحرفون ، حسابا في غاية القسوة وفي منتهى العسر والمشقة ، فإذا أراد العلماء أن يخرجوا من هذه المسؤولية الخطيرة ، فعليهم أن ينتهجوا نهجا جديدا يعيد للإسلام مجده ، وللمسلم كرامته ، وإلا فليسمحوا لنا بأن نصفهم بالتقصير والإهمال وان نقول لهم دون مجاملة إن انصرافكم إلى ما هو أقل شأنا من الدعوة إلى الله والدفاع عن دينه قد حال بينكم وبين القيام بالواجب المقدس ، وإن تبعة انحراف المجتمع في عقيدته وأخلاقه تقع عليكم أنتم لعدم اهتمامكم بأمانة العلم ، التي هي النصح والارشاد والتوجيه ، في المجالس ، والاندية ، وفي الصحافة والاذاعة في كل مكان وفي كل وقت ، فهل من مطمع في أن نرى من علمائنا عزمة صادقة ،تبث الأمل في النفوس ؟ إننا نأمل ذلك وإنهم لفاعلون إن شاء.

اللباب لا القشور

من طبيعة الإنسان حب التقليد ، ومحاكاة الآخرين ، إلا أن الناس .. يختلفون دائما في هذه المحاكاة ، وذلك التقليد ، فهناك من الشباب من ينساق وراء التقليد دون تفكير ، فهو أمعة يتبع كل ناعق لا يعرف ما يضره ، مما ينفعه ، وهناك من الشباب من يقلد ، ولكنه لا يقدم على فعل شيء إلا بعد أن يفكر فيما يريد أن يقلد فيه ، هل له قيمة جوهرية في الحياة أم هو شيء تافه لا ينفع بقدر ما يضر ؟ وهذا ولا شك شأن من يعرف قيمة الحياة ، ويفهم واجب المجتمع عليه ويدرك ما هو ضار أو نافع ، ونأسف اذ نقرر هنا أن كثيرا من الشباب لا يقلد إلا فيما هو سيء وهزيل ، على اعتبار أن هذا مظهر من مظاهر التقدم فلو اختار بدل التقليد في تصفيف الشعر ، ولبس السلاسل الذهبية ، والتشبه بالنساء في كثير من خصائصهن ، التقليد في الصبر على الحياة الخشنة بين كثبان الرمال ، وقمم الجبال بحثا عن مصادر الخير لأمته ، ولو عدل كذلك عن قتل الوقت بين جدران الكباريهات ، وصالات الرقص إلى استغلاله بين حقول المزارع وماكينات المصانع ، أقول لو انتهج شبابنا هذا المنهج لكان تقليدا نحمده عليه ونقدم له من الشكر أجله ، ولكان هذا هو التقليد المفيد الذي تباركه مبادىء الإسلام المتمثلة في العلم والعمل والانتاج ، وإذا كانت الحاجة ماسة إلى تقليد الغير فيما سبقونا إليه من علم ، فلقد سبق أن قلدونا قديما ، يوم كان الاندلس مزدهرا بالحضارة الإسلامية ، في الوقت الذي كان فيه الغرب يتخبط في متاهات الجهل ويعيش على هامش الحياة ولكن كما قيل : يوم لك ويوم عليك ، فكروا وعملوا وانتجوا وتوقفنا فلم نفكر ، ولم نعمل ، ولم ننتج فصرنا عالة عليهم ، واحتجنا إلى تقليدهم وما كان هذا من أمر ديننا ، فلنقلدهم في اللباب لا في القشور .

الرؤساء أولا

الاصلاح لأي لون من ألوان الحياة معناه تصحيح الخطأ ، ومعناه كذلك الاتجاه في الطريق السليم لخلق المجتمع الصالح ، والمواطن الصالح والاصلاح عمل مطلوب ومشكور ، وما جاء الرسل إلا من أجل اصلاح النفوس ، وإصلاح العقائد ، وإصلاح الضمائر ، وما من أحد تربع على عرش المجد ، أو صعد في مدراجه إلا على أساس أنه مصلح أو يريد الاصلاح ، وحتى أصحاب المذاهب الهدامة والمبادىء المتطرفة لا يستطيعون نشرها بين المجتمعات ، ولا تقبلها الشعوب حتى يمهد لها أصحابها بالدعاية المستمرة في الصحف والمجلات وفي الأندية والاذاعات ، بأنها هي التي فيها المصلحة والفائدة ، والشعوب اذا انخدعت بالدعاية وقتا من الزمن ، فلن تنخدع كل الزمن ، فاذا ما أراد قادة الأمة ورجال الإصلاح فيها أن يعملوا بإخلاص ، وأن يبدأوا مرحلة جديدة من الاصلاح ، فليبدأوا بإصلاح أنفسهم أولا ليكونوا قدوة لغيرهم ، فقد أثبتت تجارب الحياة أن الشعوب دائما تحرص على تقليد زعمائها ، ورؤساء الأعمال فيها ، لذا فمن غير المعقول أبدا أن يطالب موظف صغير بالنزاهة مثلا ، دون أن يكون الرئيس المباشر له أو غير المباشر نزيها ، ومن المنطق غير المستقيم أن تحارب الرشوة والفساد ، وتقاوم الرذيلة والانحلال ، دون أن تقتلع هذه الأشياء من جذورها من الكبار قبل الصغار.

إن محاولة إصلاح المشاكل الاجتماعية ، في طبقة من الناس دون أخرى ضرب من العبث ، وتضييع للوقت دون فائدة.

ومما لا ريب فيه ، أن كل أمة تريد الخير لنفسها تعمل لتلافي الأخطاء التي تقع فيها وتضع الخطط البعيدة والقريبة لإصلاح ما فسد من أمرها وتستعين بالمصلحين في تنفيذ هذه الخطط ، حتى لا يتعثر سير الإصلاح في طريقه المرسوم ، وحتي يستطيع رواد الإصلاح والمخلصون

الوصول إلى أهدافهم التي يعملون من أجلها ، فليبدأ الرؤساء ، والقادة بأنفسهم ، وإلا فإن ادعاء الإصلاح خداع وتغرير ، والله لا يرضى عن الخداع والمخادعين.

مغالطة مكشوفة

أولئك الذين يأتون من الأعمال أشدها قبحا ، وأسوأها عاقبة وأعظمها جرما ، ثم يظنون أن أحدا لن يستطيع فهم حقيقتهم هم ولا شك كالنعامة التي تدفن رأسها بين الرمال لتوهم نفسها أو هي تتوهم فعلا أنها بهذا العمل تخفي جسمها عن الأنظار.

إن الإنسان أي إنسان كان اذا تجاسر على خرق النظم الاجتماعية وأراد عن طريق مباشر أو غير مباشر أن يستهين بالقيم الأخلاقية ملتمسا بذلك لنفسه أوهي الأعذار ، وأضعف المبررات فإنه بهذا يخدع نفسه ، ويخدع المجتمع. وبالتالي يحاول أن يخدع الله ولكن هل يمكن ذلك ؟

إن هذا الصنف من الناس عادة يستبيح لنفسه ما لا يبيحه لغيره ويحل لنفسه ما يحرمه على سواه ، ومن أجل هذا فهم لا يحسون بوخز الضمير ، ولا يخشون من الانتقاد مهما كان أسلوبه أو طريقته ، ولقد كان من الخير لمثل هؤلاء أن يكونوا صرحاء مع أنفسهم ، وألا ينسوا في غمرة الفرح بالمال والجاه ، حساب الآخرة ومناقشة الحساب ، والذي لا شك فيه أن التجاسر على الله ، والاستهتار بأوامره ينتج عنه ندم محقق حين لا ينفع ندم ، وان المغالطة في الحياة ، معناها المخادعة المكشوفة ولن تجوز مخادعة الله ، وحتى الناس لو خفي عليهم أمر شيء بعضا من الوقت فلن يخفى عليهم كل الوقت ، وأخيرا فإن من يتعمد الاقدام على عمل ما ثم يأخذ في البحث عن وسيلة يخفف بها عن نفسه من تبعة ذلك العمل ، فانه ولا شك أشد عقابا من غيره ، لأنه ليس هنا من معنى لتلمس الأعذار والمبررات سوى التأكد من الاقدام على عمل لا يرضى عنه الله ، وليس ذنب من يتعمد الجريمة كمن وقع فيها خطأ ، فاللهم خوفك ، وخشيتك وعصمتك يارب.

العقيدة

تقوم العقيدة في الإسلام على الإيمان بأن الله رب كل شيء وإلهه وأن العبادة لا تصلح إلا له ، وأن الإيمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والحساب والثواب والعقاب أمر يجب التسليم به ، وأن أوامر الله ونواهيه حدود يجب عدم تجاوزها ، وأن الله جلت قدرته لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ، ولا في السماء ، وأن كل شيء ملكه وتحت تصرفه ، وأن الليل والنهار ، والشمس والقمر والنجوم والجبال ، والشجر والدواب ، والهواء والماء والأرض والسماء – كلها أشياء تدل على وجود الله وعظمته.

وأن الله سبحانه وتعالى هو : الأول – فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده ، والظاهر فلا شيء فوقه ، والباطن فلا شيء دونه ، وأن ذات الله سبحانه وتعالى أكبر وأعظم من أن يدركها العقل البشري ، وأن نظرية الصدفة في خلق الكون خرافة من خرافات الملحدين ، وان صفات الله التي جاء بها القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة يجب الإيمان بها ، واثباتها على الوجه اللائق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تشبيه وكما جاء ذلك في قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

وأن من أهم غايات هذه العقيدة الربط بين مشاعر المسلمين وأحاسيسهم أينما كانوا وحيثما وجدوا وازالة الفوارق فيما بينهم ، فلا غني يفضل الفقير بغناه ولا ابيض يرتفع على أسود للونه ، ولا أحد يتعالي بنسبه على أحد ، وإنما إخوة متساوون وحد بينهم الإسلام ، وجعل مقياس التفاضل (**التقوى**) : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . إن اكرمكم عند الله أتقاكم).

كما أن من أهم غايات هذه العقيدة تضامن المسلمين كما أمر الله بذلك في قوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ووحدتهم حيث جاء ذلك في قول الله تعالى : (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) وتعاونهم فيما بينهم إذ يقول سبحانه وتعالى

: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) ، وتعاطفهم وتوادهم وتراحمهم ونصرة مظلومهم ، وارشاد جاهلهم واسداء النصح فيها بينهم وابعادهم عن كل ما هو منهي عنه في شريعة الله.

وبتأثير من هذه العقيدة تستشعر النفس رقابة الله فتتربى على الأخلاق الفاضلة والصفات النبيلة وبسببها يتهيأ المسلم ليكون صلبا في دينه نظيفا في عرضه ويده لا يخاف إلا ربه ولا يعمل إلا ما فيه صلاح له ولغيره ومن هنا تتحقق له السعادة في دنياه وآخرته.

القضاة ثلاثة

في يوم من الأيام كنت أتصفح كتابا من تلك الكتب التي هجر الناس قراءتها وأعرضوا عن النظر في العلوم الموجودة بين أوراقها ، وكان فيما وقع عليه نظري بين صفحات ذلك الكتاب حديث ، يرويه أبو دواد ، عن بريدة ، عن النبي ﷺ قال : (القضاة ثلاثة : واحد في الجنة واثنان في النار فأما الذي في الجنة ، فرجل عرف الحق فقضي به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار).

استوقفني هذا الحديث برهة ، وقلت : مساكين أولئك القضاة الذين ثلثاهم في النار ثم رجعت إلى نفسي في تساؤل قائلا : ألا يمكن أن يكون هؤلاء القضاة كلهم في الجنة ؟ ووجدت الحديث نفسه يجيب على هذا التساؤل ، ليقول : بلى ، ولكن بشرطين ، أحدهما معرفة الحق والثاني القضاء به ، وهنا ارتسمت أمام مخيلتي علامة استفهام تقول : وهل كل القضاة عارفون للحق ؟ عاملون به ؟ وتحيرت ، وسألت الله في خشوع أن يلطف بحال أولئك الذين أغراهم بريق المال وعلو المركز ، فانحرفوا بالحق عن طريقه ، أولئك الذين قبلوا هذا المنصب الخطير ، وهم لا يعرفون من العلم إلا أقل القليل منه وما أكثر هؤلاء ، وأولئك في دنيا البشر ، وخاصة في عصرنا هذا عصر الماديات وموت الضمير ، وفقدان الوازع الديني.

ولخطورة تولي منصب القضاء كان العلماء قديما أزهد الناس في هذا المنصب ، واليوم يطلب العلم من أجل الوصول إلى كرسي القضاء ويتسابق الناس عليه ، لا رغبة في تحقيق العدالة وإنما حبا في المركز ذاته ، إن القضاء معناه اقامة عدالة الله في الأرض . والقاضي هو الممثل لهذه العدالة القائمة على المساواة بين كل الطبقات بلا تفرقة أو تمييز ، والقضاء ضرورة لحياة الناس ، لا يستغني عنه مجتمع مهما اتصف افراده بالعلم والثقافة والانصاف.

ولهذا اشترط في الرجال الذين يتولونه أن يكونوا من ذوي العلم والفضل ، والنزاهة والورع، وأن يكونوا القدوة الصالحة في كل شيء ، من أجل هذا كان من السمات البارزة

والمميزة للقاضي أن يكون نزيها إلى أبعد حدود النزاهة ، وعادلا إلى اقصى حدود العدل لا يحابي قريبا لقرابته ، ولا يحمله كرهه لاحد ان يحيف عليه في حكمه (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين الله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى).

فليتذكر رجال القضاء دائما هذا الحديث : « قاض في الجنة وقاضيان في النار » فالنفس الانسانية دائما في حاجة إلى التذكير بها عساه أن يكون عاصما لها عن الميل عن الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والشهداء والصالحين.

رواسب من الماضي

في الحديقة الواسعة وأمام النافورة التي تبعثرت قطرات من الماء فوق الحشائش الخضراء ، وبين تلك الأشجار الباسقة جلس صاحبنا فوق مقعده المريح يحيط به عدد من المقاعد انتظارا لزوار قد يأتون إليه لقضاء بعض الوقت معه في أحاديث متفرقة ، زرته بعد غيبة دامت أكثر من نصف عام فوجدته كما كنت أعهده من قبل ، المكان هو هو لم يتغير ، والمذياع الصغير في مكانه الذي يضعه فيه دائما ، وصديقنا جالس كعادته على مقعده المخصص له يستمع إلى نشرة أخبار تذاع من بعض المحطات العربية ، التي تميل دائما نفسه إلى الاستماع اليها أكثر من غيرها ، وبدأ الحديث بيننا بعد قليل من الوقت يأخذ طريقه في مسارب مختلفة تختلف من ناحية الأهمية وغيرها ، فالحديث دائما كما يقال ذو شجون . فتارة نكيل الثناء لفلان لأنه متزن في تصرفاته وناجح في عمله ، وأخرى ننحي باللائمة على علان لأنه يتصرف تصرفا شاذا في معاملته مع الناس ، وهكذا ، حديث عائم لا هدف ولا غاية من ورائه سوى تزجية الوقت في كلام ينتهي أثره بانتهاء الجلسة ، ونحن في حديثنا ليلة من الليالي أقبل اثنان من علماء البلدة الكبار في السن.

وبعد فترة تبودلت خلالها عبارات الترحيب ، والاستيضاح عن الحال والعيال ، بدأ الحديث وما أكثره حينما يدور حول تشريح عباد الله بحق وبغير حق، ومر ذكر فلان صاحب المرتبة المرموقة في الجيش وعلان الأمير بالمكان الفلاني ، وفلان الآخر وغيرهم ممن كتب لهم شرف التشريح فوق تلك الحشائش وهم غافلون ، وسأل أحد الحاضرين من أي قبيلة صاحب ذلك المركز الرفيع في الجيش ؟ فجاء الجواب مسرعا من صاحب المكان في لهجة ساخرة وبالحرف الواحد : « من ها العبيد بني خضير ، وفلان الأخر وكذلك فلان الثالث كلهم من ها العبدان » وضحك هؤلاء جميعا ، وكأنما هم يحمدون الله أنهم لم يكونوا من هذه الطبقة الحقيقة من الناس.

وضحكت بيني وبين نفسي في مرارة مؤلة ،وقلت : أبعد جهر الإسلام بأن الناس سواء الا فضل لأحد على أحد إلا بالعمل الطيب ، وبعد تصريح الله ونهيه عن ذلك بقوله سبحانه: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير) تتحرك العصبيات الجاهلية في القرن العشرين لتحتقر الكفاءات وتزدرى المواهب وتستهين بالعقول ، وتجسمت أمامي مشكلة الملونين في جنوب افريقيا وعدت إلى نفسي قائلا : ألا يعلم أمثال هؤلاء ان هذه النظرة إلى الناس تجلب العداوة والحقد وتسبب الكثير من المشاكل إلى جانب أنها نظرة تخالف تمام المخالفة نظرة الإسلام للانسان .
وهنا تذكرت قول الرسول ﷺ: « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن – وفي بعض الألفاظ هي بهم كفر – الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم والنياحة » ، وصدق محمد ﷺ لأنه لا ينطق عن الهوى وقاتل الله علماء لا يعملون بما يعلمون .

أرق من دين الراقصات

كان شابا من أمثل الشباب خلقا وعلما ودينا ، جمعت بيني وبينه أيام كانت ولا شك من أسعد أيام الحياة ، رغم ما فيها من سأم وضيق ، كنا صديقين منذ ايام الدراسة ، فكان شابا مهذبا أغبطه على أخلاقه ، بل واحتقر نفسي أمامه حينما يدور النقاش في كثير من المسائل العلمية ، إذ كان سريع البديهة قوى الحجة دقيق الملاحظة وإلى جانب هذا كان صدره رحبا للبحث والمناقشة ، وانتهت تسع سنوات تباعا ، وشاء الله أن تفرق بيننا الايام وانقضت فترة من الزمان أمارس فيها عملي كموظف ، وابتدأ هو حياته الوظيفية في مكان آخر وطالت المدة دون أن نلتقي ، أو حتى نتبادل الرسائل ... وكانت رابطة الصداقة رغم طول مدة الفراق لا تزال تنبض بشيء من الحياة ، وكان لابد لإرادة الله أن تجمع بيننا مرة ثانية لنستعيد شيئا من ذكرياتنا السعيدة.

ومن جديد ... بدأت تلك الذكريات تتوافد إلى أذهاننا وكأن زمنا طويلا لم يمر عليها وبدأت الحياة تدب في أوصال تلك الصداقة التي كادت أن تذبل ، وبدأنا حديثا جديدا ، ولكن في هذه المرة ليس حديثا في كان وأخواتها ، ولا في شروط الصلاة واركانها وإنما حديث من نوع جديد وبأفكار تختلف عن ذي قبل ، لقد تغيرت مفاهيم صديقي تغيرا مذهلا فبينما عهدته معتدلا في أفكاره وآرائه اذ بي أجده يحمل أفكارا غير الأفكار التي كنت أعرفها عنه ، لقد تنكر لأعمال كان يرى أنها ضرورية لحياة الفرد ، وأخذ ينتقد في سخرية لاذعة القيم والأخلاق الانسانية.

وتجرأ ذات مرة ليقول في وقاحة غير محدودة بأنه لم يعد يؤمن بتلك الأفكار القديمة ذات الطابع الرجعي ، وسألته ماذا تعني بالأفكار ذات الطابع الرجعي ؟ فقال ودون مراعاة لشعورى كصديق له : كل الأفكار التي تتحدث عن الجنة والنار ، والحياة بعد الموت وما شابه ذلك ، وحرت في أمره ، وحزنت لحالته وتألمت لانحرافه ، ولم أكن أملك غير نصحه ومحاولة

إبعاد هذه الأفكار من ذهنه وحان وقت الصلاة ولم يصل ، فقلت له : عهدتك ياصديقي محافظا على الصلاة ، غير أني لم أرك صليت هذه المرة ، فقال في سخرية بلهاء : أوهام يا عزيزى عقولنا هي الحكم في كل شيء فما وافقها قبلناه ، وما لم يوافقها تركناه ، قلت : معنى هذا أن من حقك أن تضع تعاليم الإسلام بين يديك فتأخذ منها ما وافق عقلك وترفض منها ما لم يوافق عقلك ؟

قال : هذا ما أردته . فقلت : إن هذا انتكاس يا صديقي ، فقال : بل هو استنارة العقل يا عزيزى ، وهنا ادركت ان صاحبي قد تغير نهائيا وأصبح دينه أرق من دين الراقصات ، وقلت في حرقة وألم : سبحان من يغير ولا يتغير.

العقل لا العاطفة

هذه الحياة التي يعيشها البشر لا راحة فيها لأحد ، ولا بقاء فيها لانسان ، وهي دائما في تقلب واضطراب ، والإنسان يتلظى دائما بتقلبها واضطرابها ، ويعاني الكثير من اكدارها ومشاكلها ، والله جلت قدرته حينما خلق الإنسان ، أخبر أنه لم يخلق لينعم بالراحة والهدوء ، إذ قال في كتابه الكريم : (لقد خلقنا الانسان في كبد) ومهما توفرت للإنسان أسباب السعادة فلابد أن يواجه في حياته الكثير من المشاكل ، وحتى لو حاول تجنبها فأنه حتما سيواجهه الكثير منها على أي شكل كان ، لكن أقدر الناس من يستطيع الخروج من المشاكل التي تواجهه في حياته بإسلوب هادىء متزن ، بعيدا عن الإنفعال النفسي الذي يوصل الأمور في كثير من الأحيان إلى طريق مسدود ، معقدا معه المشاكل أكثر فأكثر ، بينما كان يمكن أن تحل بسهولة لو عولجت في جو يتغلب فيه العقل على العاطفة.

وأكثر المشاكل تبدأ صغيرة ثم تكبر ، إذا لم تعالج بحكمة وتعقل ، والمشاكل العالمية والعائلية أشبه ما تكون بالمرض الذي يصيب الجسم . إن بودر بالعلاج عند بدايته سهل علاجه ، وإن ترك حتى يتمكن من الجسم صعب علاجه وربما يكون العلاج في كثير من الحالات مستحيلا ، فيكون الهلاك لهذا الجسم . وكثيرا ما رأينا ورأي آباؤنا من قبل ، وسوف يرى أبناؤنا مستقبلا ، أن مشاكل صغيرة تنشأ بين دولة وأخرى ثم تكبر عن طريق العناد الطائش ، وعدم التعقل حتى تصل الأمور إلى درجة المواجهة الحربية ، ثم ومع أول رصاصة تنطلق من جندي أحمق تحل الكارثة ، ديار تهدم ، ومزارع تحرق ، ومصانع تتلف ، وأرواح أبرياء تزهق ، ثم بعد هذه المآسي الدامية ، والاعمال الوحشية يتم الاتفاق بين الدولتين على تلك المشكلة طال الزمن أو قصر ، وكأن شيئا لم يكن ، ومثل المشاكل العالمية ، المشاكل الاجتماعية التي لا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات أو بيت من البيوت ، وهي ايضا بدورها توجد تافهة ولسبب تافه ، لكنها لا تلبث أن تتطور حتى تشمل المجتمع كله أو العائلة

كلها ، فتزداد الخصومة ويكثر النزاع ، ويبدأ التقاطع بين الاقارب ، والاصدقاء ، وكمثال واحد يصور لنا حالة مشكلة من تلك المشاكل الصغيرة التي يتكرر وجودها باستمرار ، ثم تأخذ شكلا آخر بسبب العناد والتعصب للرأي ،ومحاولة التغلب على الآخر: شخص يعيش مع زوجته وأولاده عيشة سعيدة ، ثم يحصل من جانب احد الزوجين أخطاء صغيرة ، يتكرر مثلها في كل بيت فيبدأ الخصام وتأثر النفوس وتتحول تلك الحياة الزوجية السعيدة إلى حياة لا طعم للسعادة فيها ، ثم يبدأ صراع عنيف تنقلب الحياة الزوجية معه إلى نوع آخر من الحقد والكراهية ، ثم وبسبب عدم معالجة المشكلة وهي ما تزال صغيرة ، وعن طريق تغليب العاطفة على العقل ، تكون النهاية ، قطع العلاقة الزوجية ، والتفرق المؤلم ، وتشريد الأولاد ثم الندم في النهاية حيث لا ينفع الندم ، ويقاس على هذه المشكلة

كل المشكلات على اختلاف أنواعها وتعدد صورها ، هذه المشكلة ذاتها قد تقع لشخص آخر فلا تغير من واقعة شيئا ، والسبب في هذا انه يستطيع بطريقة أو بأخرى أن يحل هذه المشكلة في هدوء تام ، دون أن تؤثر عليه عاطفته ، فيتصرف تصرفا يوقعه في مشاكل أكبر وأكبر.

إذا .. وعلى هذا فلو أن كل فرد في المجتمع استطاع حل مشكلاته بنفسه ، أو بالاستعانة بمن يراه أهلا للمشورة ، لأراح واستراح ، ولوفر لولاة الأمور الكثير من الوقت للاستفادة منه فيما هو أهم وأفضل ، وهذا غير ممكن إلا اذا كان العقل هو المسيطر على حل المشكلات ، فيه تحل المعضلات ، وبه وحده توجد الحلول.

خبر وخبر

في صحيفة من الصحف المحلية قرأت خبرا يقول : (إن فريتز زويكي العالم الفلكي ، بمرصد ماونت بالمومار ، استطاع أن يرصد انفجارا كبيرا لنجم وقع منذ ٨٠٠ مليون سنة) نقل هذا العالم الفلكي النبأ إلى المندوبين الذين حضروا مؤتمر الهيئة الدولية الفلكية ، في بيركلي بولاية كليفورنيا ، قال الدكتور فريتز : (إن ضوء انفجار النجم الذي يسير بسرعة ٣٩٧ ألف كيلو متر في الثانية قد استغرق ٨٠٠ مليون سنة لكي يصل إلى الأرض) وقال : (إن هذا هو أبعد حادث انفجار أمكن تحديده لأحد النجوم حتى الآن).

هذا الخبر ذكرني بخبر صغير سمعته من أحد المواطنين الذين يسافرون إلى بعض البلاد الشيوعية لقضاء بعض الاعمال التجارية ، يقول هذا المواطن : (كنت في يوغسلافيا عند مدير عمل من الأعمال التجارية ، وفي اثناء الحديث بيني وبينه سألني هذا السؤال : هل أنتم المسلمون ما تزالون تؤمنون بوجود الله ؟ قال هذا المواطن ، قلت : ونموت على هذا الإيمان ، فقال له صاحبه : إن العالم قد اكتشف حتى ما فوق الجاذبية الأرضية ، ولم يوجد شيء اسمه الله فاين هو إذا كان موجودا ؟).

خبران صغيران ، احدهما يعتبر الإيمان بوجود الله ضربة من الهوس العقلي ، بحجة أن الانسان اكتشف ما فوق الجاذبية الأرضية ، ولم ير شيئا اسمه الله ، وثانيها يقول : إن ضوء انفجار النجم الذي يسير بسرعة ٣٩٧ ألف كيلو متر في الثانية قد استغرق ٨٠٠ مليون سنة ، لكي يصل إلى الأرض ، ولو لم يقل فريتز هذا الكلام أمام مؤتمر الهيئة الدولية الفلكية ، فإن في السماء ونجومها ، وفي الأشجار وأزهارها ، وفي نور الشمس وضوء القمر ، وفي عظمة السماء والأرض وفي أسرار الهواء والبحر ، ما يعطي الدليل الذي لا يقبل الشك على وجود خالق لهذه الكائنات هو الله ، ثم أن وجود الله يتجلى في كل شيء ، في الذرة ، والنسمة وفي خلجات النفس ونبضات القلب ، وفي كل مظاهر الكون وأسرار الحياة ، لكن هذا العالم

الفلكي وهو يذكر هذا النبأ أمام الهيئة الدولية الفلكية يؤكد أن الانسان لو استطاع بما أعطاه الله من وسائل العلم أن يصل القمر أو الزهرة أو المريخ أو غيرها من النجوم السابحة في السماء ، فإن ذلك لا يعني انه اطلع على العالم اللانهائي ، طالما أن نجما من نجوم السماء سرعة سيره ٣٩٧ الف كيلو متر في الثانية استغرق في سيره ٨٠٠ مليون سنة دون أن يصل إلى الأرض ومن هنا فإن هؤلاء الذين يعتقدون بأن الله غير موجود لأن الإنسان الذي اخترق الجاذبية الأرضية لم يره قوم ينطبق عليهم قول الله سبحانه : (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور).

أعداء من هنا وهناك

الصراع بين الحق والباطل ، والمنافسة بين أهل الخير وأصحاب الشر ، والعداء المستحكم بين معتنقي المبادىء المختلفة ، أمر قديم قدم التاريخ ، وعداوة أصحاب هذه المبادىء والمعتقدات القديمة منها والحديثة ، ما كان منها من عند الله ثم حرف كاليهودية والصرانية وما كان من وضع البشر كالشيوعية والبوذية والبعثية وغيرها ، كل هذه وتلك تقف الآن في خط واحد تحارب الإسلام والمسلمين ، في أي مكان من الأرض ، وأكثر هؤلاء نشاطا النصارى الذين غزوا كثيرا من بلاد المسلمين ، بمدارسهم ومعاهدهم وملاجئهم ومستشفياتهم وكل مؤسساتهم التبشيرية ، التي يستميلون بواسطتها الجهال من المسلمين وخاصة سكان المناطق الفقيرة منها ليخرجوهم من دينهم إلى النصرانية مستغلين بذلك حاجتهم إلى الطعام والكساء والعلاج ، وهم في هذه الناحية يبذلون في سخاء لا نظير له ، ويتحملون في ذلك أنواع المتاعب ، وأهمها العيش وسط تلك المجتمعات الفقيرة جدا ، رغم أنهم نشأوا في مجتمعات راقية جدا ، لكن المطامع تجعل الانسان يتحمل كل صعب في سبيل المبدأ الذي يؤمن به ، وربما يجد في ذلك في كثير من الأحيان لذة ، سيما إذا أحس أن جهوده بدأت تؤتي ثمارها ، لقد كان هذا النشاط النصراني في الأساس قائما على أساس دينى ، لكنه الآن أخذ طابعا سياسيا ، وأصبحت الدول تمول هذا النشاط لأنه وإن كان ظاهره دينيا إلا أنه الآن أصبح ولا شك يقوم بدور الممهد لاستعمار تلك البلاد عن طريق خلخلة عقيدة أولئك المسلمين ليستطيع الاستعمار التسلل إلى تلك البلدان دون صعوبة في ذلك فيكون الاستعباد لكل البلدان إلى ما شاء الله ، وهذا ما يعمل له التبشير في هذا العصر .

ولمزيد من التضليل السياسي، وتأكيدا لحقدهم الصليبي فإنه ومن أجل القضاء على الإسلام وابادة المسلمين ، تراهم يتلونون تلونا غريبا فأحيانا يلقبون أنفسهم بالتقدميين ، واحيانا يتقمصون ثياب البعثية واخرى يدعون الناصرية ، واحيانا يدعون حتى الشيوعية ، وهي في الحقيقة صليبية تنشر تحت هذه المسميات ، والذي لا شك فيه أن النصارى رغم أنهم

أهل ديانة جاءت لتحارب الالحاد ، إلا أنهم لشدة حقدهم على الإسلام ، وأمة الإسلام يميلون إلى الشيوعية والشيوعيين أكثر من ميلهم للإسلام والمسلمين ، إن كان لهم ميل إليهم ، لكن الواقع يؤكد عكس ذلك استنادا إلى قول الله تعالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم).

وإذا كان أولئك الأعداء قد سخروا كل إمكاناتهم لمحاربة دين الله ، فانه ومن ضمن هذه الامكانات ، مجموعات من ابناء هذه الأمة ، تحمل أسماء اسلامية وتعيش في مجتمع مسلم لكنها تحمل افكارا غير اسلامية ، وهذه المجموعات خطرها كبير جدا ، لا لالتصاقها بالمجتمع وانتمائها له ، وانتسابها لأبوين مسلمين وعائلة مسلمة ، وخطر هذه المجموعات يأتي من أن أحدا لا يظن في أمثال هؤلاء الناس انهم يحملون أفكارا تحارب دينهم الذي ينسبون اليه ، لكن هذه المجموعات وجدت فعلا وبهذه الافكار نتيجة عوامل كثيرة أهمها تلقي هذه المجموعات العلم في جامعات ومعاهد الصليبيين والشيوعيين ، وتأثرهم بأفكارهم واستحسانهم لما هم عليه من عادات ، واعتقادهم بأن ما هم عليه هو الأفضل والأحسن ، ولو رجعنا إلى الواقع لوجدنا أن المسلمين انفسهم قد ساهموا بدرجة كبيرة في افساد أفكار هؤلاء الشباب الذين نثروهم في تلك المجتمعات بما فيها من مغريات وصراع في الأفكار قبل أن توجد لديهم الحصانة العقلية والفكرية ، فكانوا أو بالاصح كان أكثرهم عرضة للانحراف والانحلال ، بل ودعاة إلى التغيير في الحياة الإسلامية ، لتواكب الحياة الغربية والشيوعية فكرا وخلقا وسلوكا ، وهؤلاء بعملهم هذا هم معاول هدم من داخل بناء المجتمع ، واذا – لا سمح الله– ما تهدم البناء من الداخل فماذا بقي للأمة مما تعتز به من عقيدة وغيرها ؟ واذا ما تهدم البناء من الداخل ايضا كان الدمار بكل صوره ، والخراب بكل أنواعه .

ولقد رأينا كيف أنه خرج من أبناء الأمة الإسلامية من مهد للشيوعيين والنصارى للاستيلاء على بلاده وأمته لا لشيء إلا انه اصبح يحمل افكارا شيوعية أو صليبية أو ما إليها

من معتقدات تخالف ما عليه الإسلام تمام المخالفة ، والأمثلة على ذلك كثيرة في بلاد الإسلام وفي البلدان العربية المجاورة ، وما هذه الحرب القائمة بين دعاة الإسلام في بلاد الإسلام ، وبين المستولين بالقوة على أمور بلادهم إلا دليل مادي على عداء أولئك المتسلطين الخائنين لدينهم ، بل والمرتدين عنه ، وأقول مرتدين لأنه لا أعظم من الغاء عقيدة فرضها الله لتحل محلها عقيدة ملحدة لا تؤمن بالله ، وتعطيل احكام الله لتحل مكانها قوانين صنعها البشر من عند انفسهم ، ثم أي ردة اشد من محاربة عباد الله الصالحين لأنهم يقولون ربنا الله ؟ كم هي مصيبة أن يوجد من بين أبناء الإسلام من يقوم بالنيابة عن الشيوعين والصليبين والصهيونيين ، ليقلب عقيدة أمته من اسلامية تسير على منهج الله ، إلى عقيدة هي من صنع شياطين الإنس الذين ركبهم الشيطان فأضلهم وأعمى أبصارهم ، فكانوا مصدر شر لأمتهم وأكثر عداء لدينهم ، وأعظم خونة عرفتهم بلادهم (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) .

الخيانة

عندما تلامس الأذن كلمة الخيانة ، يتبادر إلى الذهن أول ما يتبادر التعدي على حق الغير دون وجه حق وأخذ حق الآخرين دون مبرر من المبررات الشرعية ، وهذا في الحقيقة مفهوم ضيق لا يعطي هذه الكلمة مدلولها الشامل ، فالخيانة ، كلمة ذات مدلول واسع ، وليست كما يتصور البعض أنها لا تعني سوى خيانة المال ، ذلك أن خيانة المال قد تكون أقل ضررا من خيانة الله ورسوله ، وخيانة الله تتمثل في عصيان أوامره ، والتجرؤ على ارتكاب محارمه ، ومساعدة الأعداء على هدم دينه والمجالات التي تدخل في اطار كلمة الخيانة كثيرة لكني سأقتصر على بعض الأمور الهامة منها فمثلا :

١- الذين استولوا بالقوة على مقاليد الحكم في بعض البلاد الإسلامية ، فانحرفوا بالامة عن نهج الله في العقيدة أو التشريع، وحاولوا استبدال تعاليم الله بنظريات مؤسس الحزب أناس خونة ينطبق عليهم قول الله سبحانه وتعالى : (إن الله لا يحب الخائنين).

٢ - العلماء الذين استهواهم المال وحب الشهرة فباعوا أنفسهم لأولئك الحكام وأمثالهم يستخدمونهم لاغراضهم ويوجهونهم حسب رغباتهم ، هم ايضا أناس خونة ينطبق عليهم قول الله سبحانه وتعالى : (إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما).

٣ - والمؤتمنون على أسرار الدولة إذا أفشوا أي سر للأعداء من شأنه أن يلحق أي ضرر بالمصلحة العامة كان ذلك خيانة من أعظم الخيانات .

٤ - والمستشارون لدى الحكام ، اذا زينوا للحاكم أمورا هم يعرفون أضرارها على الحاكم نفسه أو افراد الأمة أو المجتمع أو رأوا الحاكم يمارس اعمالا من شأنها أن تفسد عقيدة الامة واخلاقها ، ثم سكتوا عن ذلك مجاملة كان ذلك كله خيانة تدخل ضمن اطار قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) .

٥ – المدرس في المدرسة أو المعهد، والمحاضر في الجامعة كل هؤلاء ، يعتبرون خونة ، اذا هم أدخلوا في ذهن الطالب ما يخالف عقيدة الإسلام أو ما يكون من شأنه هدم أخلاقه وافساد سلوكه.

٦– والقاضي في نظر الإسلام خائن اذا هو ارتشي ، أو جامل في حكمه ، أو اعطى لأحد عن قصد شيئا لا حق له فيه.

٧ – الموظفون كلهم صغارا كانوا أم كبارا ينطبق عليهم وصف الخيانة ، اذا هم اختلسوا شيئا مما أؤتمنوا عليه ،أو قاموا بعملية تزوير ،أو اقرار رشوة أو تعطيل عمل من أعمال الأمة.

٨ – والقائمون على وسائل الاعلام المرئي منها والمسموع أو المقروء هؤلاء لا شك انهم خونة اذا هم استعملوا اهذه الوسائل فيما يهدم الاخلاق والافكار ، أو يعمل على تضليل الرأي العام في أي أمر من الأمور التي تهم المجتمع .

٩ – كل متعامل بالربا على أي شكل من أشكاله ، وبأي صورة من صوره خائن في تعامله الانه مارس عملا حرمه الله بنص القرآن الكريم .

١٠ – كل شاب مال قلبه عن الإسلام إلى غيو ، أو اعتقد أن منهجا من المناهج الأرضية أفضل في نظره من منهج الله . أو رأى أن نظاما من وضع البشر أحسن من نظام الله الذي فرضه للبشر ، هو في الحقيقة خائن يستحق العقوبة من الله . من هذا يتضح أن كلمة الخيانة لها مفهوم أوسع مما يتصوره كثير من الناس.

الإسراء والمعراج

قصة الإسراء والمعراج في الوقت الذي حدثت فيه كانت أغرب من الخيال ، وفوق ما يتصوره العقل البشري لا في ذلك الزمان فحسب وحتى أيضا فيما نسميه نحن بعصر غزو الفضاء ، فما حدث ولما يحدث حتى الآن لا يماثل هذه المعجزة الباهرة ، شخص يركب دابة تذهب به ليلا من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس بالشام ، ثم يصعد إلى السموات العلا ، وينتهي به الصعود إلى سدرة المنتهي ، ثم يعود إلى الأرض ، حيث يركب هذه الدابة (البراق) ليعود من ليلته إلى حيث ابتدأ الرحلة إلى مكة ، وفي الصباح يخبر قومه بما حصل له فيسخرون منه ، ويجدونها فرصة لتكذيبه وهو الذي عودهم عدم الكذب عليهم لكنه أمر يكاد لا يصدق لأنه خارق للعادة ، إذ ليس لدى أولئك القوم في ذلك الوقت ما يقرب هذا الأمر إلى أذهانهم فلا قطارات ، ولا طائرات ، ثم لو كانت هناك قطارات أو طائرات ، فإن وسيلة المواصلات التي استعملها الرسول ﷺ لم تكن جمادا ، وإنما كانت حيوانا ، وكيف للحيوان أن يقطع هذه المسافة كلها ذهابا وايابا في ليلة واحدة إلا أن يكون ذلك معجزة أرادها الله ؟ وهي ولا شك معجزة تفوق قدرة البشر ، ولم يستطع أحد في ذلك الوقت أن يصدق بهذا الأمر العظيم سوى صاحب ذلك الإيمان الراسخ أبو بكر رضي الله عنه وذلك عندما سمعت قريش هذا الخبر من الرسول ﷺ وطارت به فرحا إلى أبي بكر رضي الله عنه معتقدة أن هذا الخبر كفيل بالقضاء على محمد ودعوته لأنه أمر لا يصدق وأن أبا بكر سوف لا يهضم هذا الخبر وربما يدعوه هذا إلى عدم مناصرة الرسول ﷺ ، بل إلى مقاطعته وانكار دعوته لكن ايمان ابي بكر بأن الرسول لا يقول إلا صدقا كان أقوى من أي تأثير مهما كان نوعه ، لذا كان جوابه لهم : إن كان محمد قد قال ما قلتم فهو صادق ، أما هم فلم يصدقوه حتى سألوه تعجيزا عن أشياء هم يعرفونها عن بيت المقدس ، وهو لا يعرفها لأنه لم يرها من قبل ، فأخبرهم عن كل ما سألوه (وهذه معجزة ايضا) وهنا أسقط في ايديهم وعلموا أن ما قاله من مسراه من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ثم عودته إلى مكة في ليلة واحدة صدق ،

لكن ذلك لم يحملهم على الاستجابة لدعوته بل استمروا في المكابرة والعناد ، وجاء من بعدهم من ينكر ذلك ، لكن المؤمن بالله وبقدرته يرى أن مثل هذا الأمر بالنسبة لله شيء لا يثير الانتباه ، لكنه بالنسبة للمخلوقين أمر في غاية الاستحالة اذ لا يستطيع بشر الآن أن يسير على حيوان مهما كانت سرعته من مكة إلى بيت المقدس ، ثم يعود إلى مكة ثانية في ليلته ، ناهيك عن أن يصعد السموات العلا ثم يعود إلى الأرض إنها معجزة لا يقدر على تحقيقها إلا القادر العظيم خالق الكون كله.

وفي حديث الرسول ﷺ عن الاسراء والمعراج يقول : أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهي طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر ، واناء من لبن فاخترت اللبن ، فقال جبريل : اخترت الفطرة ، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أوقد بعث اليه ؟ قال : نعم ففتح لنا فاذا أبونا آدم عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد قيل : أوقد بعث إليه ؟ قال : نعم ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام فرحبا بي ودعوا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثه فذكر مثل الأول ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه السلام واذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله فإذا أنا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير . ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير . ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير . ثم عرج بنا إلى السماء

السابعة فذكر مثله فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور ، واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه.

ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشي تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، فأوحى الله ما أوحى من أمر فريضة الصلاة خمسين صلاة في اليوم والليلة ، ومازال يراجع في التخفيف عن امته حتى جعلها خمس صلوات في اجر خمسين صلاة وقد سميت سدرة المنتهى لأنه ينتهي اليها علم كل نبي مرسل ، وكل ملك مقرب ولا يعلم ما خلفها إلا الله أو من أعلمه.

وعلى أي حال فان رحلة الرسول ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ، ثم صعوده إلى السموات العلى ، ثم نزوله من السموات إلى الأرض ثم عودته من القدس إلى مكة خلال ساعات من الليل ، لم ولن يستطيع البشر الوصول إلى مثله ، والقدرة على فعل شيء مثله أما حكاية وصول الإنسان إلى القمر أو المريخ أو غيرهما من الكواكب عن طريق الوسائل العلمية التي علم الله خلقه اياها فانه قد اخبر عنها بقوله تعالى : (يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) ومع وصول الإنسان إلى هذه الكواكب بما أقدره الله على صنعه من سفن فضائية أو غيرها مكنته من الوصول إليها بقدرة الله فإنه أشبه ما يكون بشخص أراد أن يقوم برحله حول الكرة الأرضية ، ثم لم يقطع من الطريق الذي سلكه لاستكمال رحلته سوى ثلاثة كيلو مترات فقط ، أقصد من هذا أن الذين وصلوا إلى القمر أو غيره والذين سيصلون مستقبلا ربما إلى كواكب جديدة بوسائل العلم ، لم ولن يصلوا إلى السموات التي وصل اليها محمد ﷺ دون سفن فضائية ، وان كل الكواكب التي وصلوا اليها لا تبعد كثيرا عن الأرض بالنسبة للمسافات الهائلة للسموات التي وصل اليها الرسول ﷺ ومهما يكن من شيء فإن معجزة الإسراء والمعراج أمر ثابت بنص القرآن الكريم ، وهي معجزة لم تحصل لغير محمد ﷺ .

جهل مركب

كانت فصول الدراسة تزدحم برواد العلم كبارا وصغارا مسلمين وغيرهم وبحكم الزمالة والتطلع إلى المعرفة كانت تدور بيننا مناقشات تصل في بعض الأحيان إلى درجة العناد سيما إذا كان البحث يدور حول الديانة الإسلامية أو النصرانية ، وكثيرا ما تغلي الدماء في العروق ، ويزداد البحث عنفا إذا وصل الموضوع إلى مستوى نقد التعاليم الدينية ، وذات يوم وفي جلسة خارج فصول الدراسة دار نقاش حول صلاحية الإسلام لتنظيم حياة المجتمعات البشرية وسماحة تعاليمه ، وتحريره للعقل الإنساني من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق وبدأت عملية مقارنة بين الديانة الإسلامية والنصرانية وكان محرجا للغاية بالنسبة لغير المسلمين حينها بدأت الأدلة التي لا تقبل النقاش بأن الإسلام هو الدين العملي الذي يمكن لكل العالم أن يعيش تحت رايته في أمن واطمئنان.

وتطرق الحديث بطبيعة الحال إلى عقيدة التوحيد ، وانبري شاب في وسط الحلقة يدعي أنه مسلم (وربما يكون مسلما في بطاقة تحقيق الشخصية) وقال انه يجب أن نكون واقعيين ، واشار إلى أليس كذلك يا أستاذ ؟ قلت : هذا صحيح ، ثم اردف قائلا : إذا كان كذلك فلم ننكر على اخواننا المسيحيين اعتقادهم الألوهية في السيد المسيح ، ولا ننكر على انفسنا عبادة الكعبة ومحمد ؟ وضحكت في سخرية مريرة من سخف هذا الانسان وجهله بالإسلام مع زعمه انه من ابنائه وكان بودي ألا أجيب على سؤال لا يستحق الاجابة لبعده كل البعد عن الحقيقة والواقع ، لولا أن الحاضرين جميعهم قد اصبحوا آذانا متفتحة للجواب الذي يمكن أن يقال.

قلت : هل انت جاد في سؤالك أم هازل ؟ قال : بلى انها الحقيقة يا اخي ، قلت : إذا أنت مخطىء كل الخطأ فيما تقول ، قال : كيف ؟ قلت : نحن في الحقيقة لا نؤمن بعبادة اى شيء في عالم الوجود غير الله وحده ، والكعبة في نظر الإسلام وفي عقيدة المسلمين بيت مقدس أمر

الله بالطواف حوله ، والابتهال إلى الله في رحابه لا من اجله وإنما هو عمل خالص لله لا لغيره ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينا اراد ان يقبل الحجر الأسود : اللهم اني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.

ومحمد ﷺ رسول من عند الله ارسله إلى العالم بدين هو آخر الأديان ، وبرسالة شاملة لكل العالم ، ومكانة محمد ﷺ في نفس المسلم لا تصل إلى درجة العبادة رغم أن محبته يجب أن تفوق محبة الأهل والمال بل والناس أجمعين ، وهنا إلتفت لصاحب السؤال وقلت : لعل فيما سمعت من جواب كافيا لتوضيح الحقيقة فقال : كنت أفهم هيك (هكذا) وفجأة أعلن المنبه بدء الدراسة وفي الطريق إلى فصل الدراسة كنت اتحدث مع نفسي واقول : مصيبة وأي مصيبة اذا كان في شبابنا من يكون على هذا المستوى من الجهل بالإسلام.

سمو النفس

في دنيا البشر تتفاوت النفوس تفاوتا ظاهرأ وتختلف اختلافا كبيرا في نزعاتها واتجاهاتها ، فهناك النفس الخيرة المعطاة ، وهناك النفس الشريرة المانعة ثم هناك النفس الراضية المطمئنة ، تقابلها النفس الساخطة المضطربة ، والكل يعيش ولكن على غير وفاق حتى الإخوة من أب وأم واحدة يكون لكل واحد منهم نزعاته ، واتجاهاته الخاصة ، فهذا سعيد لأن نفسه تحب الخير لكل واحد في رضا واطمئنان وسعادة واستقرار ، وهذا شقي لأن نفسه تنزع إلى الشر فهي دائما في سخط واضطراب وهم وعذاب.

ولو استعرضنا حالة المجتمعات في اي مكان كان ، لوجدنا أن نسبة النفوس المظلمة القائمة التي تكره الخير للآخرين اكثر بكثير من النفوس المضيئة الصافية التي تحب الخير للإنسان من حيث هو إنسان ، ولولا وجود هذه النفوس الشريرة التي تنشر الحقد والكراهية بين الناس لما كانت النزاعات التي تملأ الدنيا بأصواتها المزعجة وأشباحها المخيفة المرعبة ، ولما غلبت الكراهية على الحب ، وطغى الحقد على الطمأنينة والرضاء في نفوس العالم ، وقياسا على حالة المجتمعات الكبيرة والمجتمعات الصغيرة بما في ذلك مجتمع الأسرة الذي قل أن يخلو من نزاعات مستمرة نتيجة لعدم التسامح حتى عن الهنات الصغيرة ، التي لا تستحق تغيير صفو الحياة ، واحلال الكراهية مكان الحب ، والعداوة محل الصداقة.

لقد وصف القرآن الكريم أصحاب النفوس الرفيعة التي تتحمل الاساءة دون أن تجازى عليها ، بأنهم ذو حظ عظيم : (ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) . وما من شك في أن دفع الإساءة بالأسلوب الحسن والتعالي عن المحاسبة على كل الهفوات ، وتحمل الكثير من الأخطاء ، يكسب الانسان حب الآخرين واحترامهم.

ومن نعم الله على المرء في دنياه ، أن يمنحه صفاء في القلب وطهارة في النفس ورجاحة في العقل ، ونفاذا في البصيرة ، وليس من ريب في أن النفس حينما تفقد معاني الرفعة والتسامي تفقد معها كذلك أعز ما تملكه من مميزات النفس الأبية العزيزة ، التي لا تستمرىء البقاء إلا في ظل الحياة الرفيعة ولا ترضى بأن تنزل إلى المستويات الرخيصة ، ومن أجل هذا فإن سمو النفس معناه المحاولة الجديدة والصارمة للقضاء على الأحقاد بكل صورها وأشكالها ، ومعناه كذلك نشر المحبة ، وتثبيت دعائم الأخوة بين أفراد المجتمع وهذا ما تدعو إليه المبادىء الإسلامية لأن فيه سعادة المجتمعات واستقرار الحياة فيها ، ويوم أن تسمو النفس وتتصف بالمعاني الانسانية الرفيعة يوم أن يوجد المجتمع الواعى النزيه القائم على الصفاء والوفاء ، والمحبة والإخاء.

زمن بلا ثمن

يتناقل الناس فيما يتناقلونه من كلمات شائعة قولهم : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ، وكثير من الناس طواهم الزمن وهم ما يزالون على قيد الحياة لعدم تقديرهم لقيمة الوقت ، وحتى كثير من المتعلمين الذين يأخذون الحياة مأخذ اللا مبالاة لم يخلدوا لأنفسهم ذكرا ، ولم يحققوا لبلدهم ربحا.

والموظف أي موظف كان خاصة في الدول المتأخرة من واجبه كمواطن مخلص في وطنيته أن يتسابق مع ساعات الزمن ودقائقه ، فلا يفرط في شيء من وقته ليساعد بذلك في بناء مجتمعه في سرعة تتناسب مع سرعة العصر الذي يعيش فيه.

وبعض الموظفين ، لا يهتمون بقيمة الوقت بقدر ما يهتمون بأخذ أجرهم كاملا غير منقوص ، فهذا موظف مثلا يتأخر عن زمن العمل المحدد بوقت ليس بالقصير ، وهذا في مكتبه في شبه جلسة عائلية يحيط به زواره ليقضي الوقت أو بعضا منه معهم في كلام خاص وأخبار وحكايات لا صلة لها بالعمل ، وذاك همه أن يحتسي كؤوسا من الشاي واكوام من المعاملات تنتظر اجراءاتها نائمة فوق مكتبه وكأنما الوقت ملك له وليس ملكا للعمل وهكذا دواليك.

والحقيقة المريرة أنه لو تبرع شخص لوجه الله ليقول لواحد من هؤلاء : اتق الله في هذا الزمن المضيع ، وراقب الله فيما هو أمانة في عنقك لما ستره من هذا الموظف المحيط المتجمد الشمالي تأنيب وسخرية وقول ما لا يقال ، وإذا لم يكن هذا فلا أقل من هزة رأس توحي بالترحم على عقل هذا المتطفل بالنصح، وهذا وضع ولا شك غير سليم ولكن من يوحي للموظف المتهاون بتهاونه إذا لم يكن هناك شعور بقيمة الزمن واحساس بالمسؤولية.

ولربما يقول قائل إن هناك من الموظفين صغارا وكبارا من يقضون وقتهم الوظيفي دون عمل لا كسلا وإنما لعدم وجود اعمال لديهم إما لسوء توزيع الأعمال على جهات الاختصاص بحيث تكون هناك جهات تعجز عن القيام بما لديها من أعمال بينما توجد بعض الجهات لا تكون لديها أعمال فيضيع على الموظفين وقتهم دون أن يكون له ثمرة - وإذا فما ذنب الموظف ولماذا نلقي على كاهله تبعة ضياع هذا الوقت ؟ وإجابة على هذا التساؤل الذي لا شك أنه وجيه ووجيه جدا . نقول : إنه لا معنى لموظف لا يوجد له عمل وإن من واجب الدولة ممثلة في الوزارات والمصالح الحكومية المختلفة أن توزع الأعمال بين الموظفين ، اذ من الخطأ أن توجد أعداد كبيرة من الموظفين في المصالح المختلفة دون أن يجدوا عملا يؤدونه ليأخذوا اجرا مستحقا ، ثم أن فراغ الموظف معناه - ضياع وقته ، وقتل مواهبه ، وتعطيل طاقاته العقلية من أن تنمو ، ومعناه كذلك ارهاق كاهل الدولة برواتب الموظفين لا عمل لهم ، ولا ريب أن استغلال الطاقات العقلية واتاحة الفرص للمواهب أن تنمو أمر يحتمه الواجب وتفرضه الرغبة في العمل المثمر المفيد.

مفتاح المصائب

الإنسان كائن حي لا يتميز عن غيره من مخلوقات الله إلا بالعقل ، فإذا تعمد التأثير على هذا العقل بأي شكل من الاشكال ، كان معنى ذلك أنه قد تعمد الإساءة إلى نفسه وافساد هذا العقل الذي ميزه الله به عن غيره وإن اهم شيء يؤثر على عقل الانسان الخمر بجميع أشكالها وأنواعها.

لذا نهى الله عنها وحذر من شربها ، لما لها من تأثير على العقل والصحة والمال ، فتأثيرها على العقل يتضح من ناحية أن السكران في حالة سكره يتصرف تصرف مسلوب العقل فهو كالمجنون الذي يفعل الشيء دون أن يدرك عواقبه ، وتأثيرها على الصحة بما أثبته العلم من ان الخمر يسبب السل ويحدث داء الكبد ، ويفسد المعدة ويسرع بالضعف إلى الجسم ، أما تأثيرها على المال فغن المشاهد والمحسوس ان المبتلي بشرب الخمور يستهلك الكثير من المال في الحصول عليها ، حتى ولو أدى به ذلك إلى حرمان نفسه وأولاده من أشياء لا غنى لهم عنها ، وللضرر البالغ الذي ينتج عن تناول الخمور ، والمفاسد التي تترتب على تغطية العقل بالخمر قال رسول البشرية ﷺ: أتاني جبريل عليه السلام وقال : يا محمد أن الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها ، وبائعها ومبتاعها ، وشاربها وأكل ثمنها ، وحاملها والمحمولة اليه وساقيها ومستقيها.

ولم يشدد الله في تحريم الخمر كل هذا التشديد إلا لأنها مفتاح المصائب ، وباب الخبائث والمنكرات ، فجرائم الانتحارات وتسرب الأسرار وخراب الديار كل هذه غالبا ما يكون سببها تعاطي الخمور التي تخرج الانسان عن حدود دائرة العقل ، فيقع في مهاوي الرذيلة ومسالك الشيطان ، والانسلاخ من الإيمان ، كما جاء بذلك قول الرسول ﷺ : « من زني أو شرب الخمر نزع الله عنه الإيمان كما ينزع الانسان القميص من الرأس»

والخمر ليس محصورا في نوع معين من أنواع الشراب ، وإنما كل شيء يغطي العقل يسمى خمرا سواء كان على شكل شراب أو حبوب أو نبات أو حقن أو غير ذلك ، لأن المقصود بالتحريم الاسكار ومتى وجد بأي وسيلة من الوسائل كان ذلك حراما ، وما حرمه الله على الناس تجب محاربته من اجل حماية المجتمع من شروره ومفاسده.

وليس أوضح دلالة على ما يسببه تعاطي الخمر من أضرار ما نراه من تأثير بالغ على صحة وعقول وتفكير المدمنين على شربه ، فكم من رجال أسرع اليهم الهرم قبل أوانه ، وكم من شباب قوى أسلمه للأمراض الكثيرة الخطرة ، بل كم من أناس كانت نهاية حياتهم بسبب الخمر ، ومع هذا فكثير من الناس ومع ادراكهم للأضرار المترتبة على تعاطي المسكرات لا يمنعهم ذلك من الاستمرار على مواصلة الشرب حتى تقع الكارثة ، وهنا يندم ، ولكن كما يقول المثل : جنت براقش على نفسها.

الأدب الرخيص

عندما نستعرض الكثير من صحف العالم ومجلاته ، نجد أنه لا يخلو عدد من أعدادها من بعض المقالات المسفة ، أو المقطوعات الشعرية الماجنة أو الآراء الفجة الساذجة والتي لا هدف من ورائها سوى افساد النفوس ، وتخريب العقائد وهدم الأخلاق ، وكثير منها ليس له هدف سوى التحدث عن الجنس ، ورسائل الغرام ونشر المقالات الطويلة المسلسلة بالأساليب المغرية عن الحياة الخاصة للرخيصات من النساء ، من راقصات أو ممثلات ، والإعلان عن الحانات ومواعيد الرقص ، وأنواع الخمور ، والتنكيت بالاساليب التهكمية والساخرة ، على رجال العلم المحافظين على أوامر الله من أجل التنفير منهم ، واستثقال ظلهم ، وعدم الإلتفات لقولهم لينقلب المجتمع كله إلى مجموعات تعبد الجنس وتقدسه ، وهذا كفيل بهدم المجتمع وتفككه والقضاء على قيمة التي هي عنصر من عناصر مقومات حياته الأساسية التي لا غنى له عنها كدعامة من دعامات بقائه متماسك البناء ، صلب الإرادة.

إن هذا الأدب الرخيص الذي تنشره تلك الصحف والمجلات هنا وهناك ما هو إلا سموم قاتلة لمعنى الشرف ، والعفة ، والمروءة ، لدى الشباب والفتيات ، ومعول هدم لكل القيم والمعاني الرفيعة التي لا يمكن للمجتمعات البشرية أن تعيش سعيدة دونها ، وليس أدل على ذلك من القلق النفسي الذي تعيشه تلك المجتمعات التي اطلقت العنان لنفسها تعبث كيف تشاء باسم الحرية الشخصية.

إن هذه الصحف وتلك المجلات قد نجحت في مهمتها القذرة نجاحا كبيرا فأثرت على الشباب والفتيات تأثيرا بالغا وصارت سوقا رائجة ، وتجارة رابحة إلى درجة أن توزيع تلك الصحف والمجلات التي تنتهج هذا المنهج أصبح لا يعد بالمئات بل بالألوف ، والمكتبة التي لا يوجد بها هذا النوع من الصحف والمجلات ، وما شابهها من الكتب التي تتحدث عن أدب الفراش مكتبة روادها اقل من القليل ، وهذه ظاهرة خطيرة للغاية أدت في النهاية إلى

الاعتقاد بأن الشباب الذي لا يقرأ هذا اللون من الأدب الماجن، شباب رجعي لم يتذوق طعم الثقافة المعاصرة وان الشخص الذي يحاول أن يصرف نظر الشباب عن قراءة هذا الكلام الهزيل الرخيص شخص غير مقبول في نظر قراء هذا اللون من الأدب الوضيع ، واذا كان تجار هذه الكتب المسمومة لا تهمهم مصلحة البلاد بقدر ما يهمهم المال فإن على الدولة كجزء من مسؤوليتها أمام الله وأمام مصلحة الأمة أن تمنع دخول مثل هذه الكتب إلى البلاد وقاية للنشء أن ينحرف ، وعلى المربين والموجهين المصلحين أن يعملوا على توجيه الشباب إلى تغذية أرواحهم بالأدب الرفيع بدلا من ذلك الأدب الرخيص ، ادب الاسفاف والانحلال حفاظا على الشباب ، وعقيدة الشباب ، وأخلاق الشباب.

الشباب و المجتمع

من اطلع على تاريخنا القديم والحديث ، يعرف تمام المعرفة أننا أمة قوية لا تعرف الضعف ، ومقدامة لا تعرف التردد ، واننا بهذه القوة وهذا الاقدام استطعنا أن ننشر دينا ، ونشيء حضارة ونقوض عروشا لنقيم على انقاضها حكما جديدا ، يقوم على العدل والإنصاف والمساواه دون تفرقة أو تمييز.

ومنذ فجر التاريخ والشباب هو القوة الدافعة إلى المجد والصخرة العاتية التي تتحطم عليها أطماع الغزاة المستبدين ، فهم عماد الأمة في كل وقت ، وعليهم تعقد الآمال الكبيرة.

إذ أن أمة بلا شباب يمنحها القوة ، ويحي فيها روح الامل ، أمة كتب عليها أن تعيش بلا أمل ، وبلا قوة وبلا عزيمة ، لأنه ما من شعب بني مجدا أو استعاد حقا إلا بسواعد الشباب القوى الذي يؤمن بالعزة ويطمح إلى المجد وكثير من شبابنا العربي وفي عصرنا هذا بالذات ، يكاد أن يفقد قوة الشباب وعزيمة الشباب وأمل الشباب ، وروح الرجولة ومعاني الرجولة وخشونة الرجولة.

أقول هذا لأني رأيت في بعض شبابنا نعومة وميوعة قد تصل به أحيانا إلى حد ، نحن نترفع به عنه ، لأن الميوعة للشباب عيب ونقيصة ، ولانه ليس ادعي لسخرية المجتمع من شاب يتكسر في حديثه أو مشيته ، أو ينتهج نهجا يتنافى مع رجولته كرجل ، وجمال الشباب ليس في اطالة السوالف ، أو ارتداء ملابس تشبه ملابس النساء التي تبرز تقاطيع الجسم ، ولا في وضع سلسلة في اليد أو الرقبة ، ولا في وضع المساحيق على الخدود والشفاه كما تفعل السيدات ، وإنما في العلم والأدب والمطاع الرفيعة والابتكار والاختراع.

وانا لم نقرأ في التاريخ أن شبابا استمرأ الميوعة ، وارتضى لنفسه الخمول إلا وطواه الزمن دون أن يخلد له ذكرا ، ودون أن يقدم لأمته ما يحقق لها أملا أو يبني لها مجدا لأنه شباب مائع متهالك متخاذل ، والميوعة والتخاذل أمران كفيلان بفشل الانسان في الحياة.

فإلى شبابنا المسلم القوى ، وقبل أن تسرى فيهم هذه العدوى ، فيفقدوا روح الشباب وعزيمته وآماله:

نذكرهم اننا بحاجة إلى جيل اكثر حيوية ، وأقوي عزيمة ، وأقدر على تحمل المتاعب من أى وقت مضى ، ونذكرهم بقول سيد الشباب ، محمدﷺ حين قال : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » فالمؤمن القوي في عقيدته وسلوكه ، والمؤمن القوي في عزيمته وارادته ، والمؤمن القوي في دفاعه عن الحق ووضوح حجته ، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف الخامل المستكين.

مسير و مخير

هل الانسان مسير أم مخير ؟ سؤال يدور على ألسنة كثير من الناس وهو أمر اختلفت الآراء حوله ، فمن قائل إنه مسير ، ومن قائل إنه هو الذي يخلق أفعال نفسه ، ومن قائل إنه مسير من جهة ومخير من جهة ثانية ، فالذين قالوا إنه مسير هم من يسمون بالجبرية ، الذين يقولو ن إن الإنسان في هذه الحياة لا اختيار له فيما يفعله من إعمال طاعات أو معاص ، لأنه مسلوب الإرادة ، وهذا في الحقيقة يؤدي إلى نتائج غير معقولة ولا مقبولة ، لأنه والحالة هذه إذا اعتدى شخص على آخر فقتله أو سلب ماله أو انتهك عرض محارمه أو فعل أي جريمة من الجرائم ، فإنه لا يعاقب على عمله هذا لأنه فعل ذلك العمل مجبورا عليه وهذا رأي لا يقره عقل ، لأن معناه الفوضى بكل صورها وفساد النظام الاجتماعي بكل أشكاله ، لأنه إذا كان كل من يريد أن يعمل عملا ، ثم يدعي انه مجبور على ذلك فانه لا فائدة إذا من بقاء النظم والقوانين ، ولا قيمة للتشريعات الإلهية أو غيرها مادام أنه لا ثواب ولا عقاب على من انتهك حقوق الآخرين على اعتبار أنه فعل ما فعل وهو مجبور عليه ، وهدف أصحاب هذا الرأي ، هو أن يطلقوا لأنفسهم العنان في ممارسة الشهوات المحرمة ، ويفعلون ما يفعلونه من أمور بعيدة عن كل القيم والأخلاق ، ثم يدعون أنه لا إرادة لهم ولا اختيار فيما فعلوه ، وهو أمر فساده ظاهر ، وبعده عن العقل والمنطق كبير جدا ، وإذا هذا الرأي رأي فاسد لا يتلفت اليه ولا يقول به عاقل.

والذين قالوا إنه مخير ، هم من يسمون بالقدرية ، وهم الذين يقولون إن الانسان في الحياة هو الذي يخلق افعال نفسه وما يفعله الانسان ليس بقضاء الله ولا قدره ، ومعنى هذا أن الإنسان إذا كان هو الذي يخلق أفعال نفسه يكون بذلك شريكا لله في الخلق ، وهو رأي يثبت فساده قول الله سبحانه وتعالى : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) وقوله : (والله خلقكم وما تعملون).

أما الذين يقولون إن الإنسان مخير في ناحية وغير مخير في ناحية ثانية فهم الذين يقولون إن الله قدر مقادير الكائنات قبل خلق السموات والأرض ، وعلم ما كان وما يكون ، ومنح الإنسان عقلا يميز به بين الخير والشر ، وما يضر وما ينفع وإلى جانب العقل منحه إرادة يستطيع بواسطتها أن يفعل بطوعه واختياره ما يشاء أن يفعله من خير أو شر من طاعة أو معصية ، من صلاح أو فساد ، وعلى هذا فكل الأمور التي يمارسها الانسان في حياته إنما يمارسها عن طواعية واختيار وليس مجبرا عليها أبدا ، لذا فهو يستحق الثواب على الأعمال الطيبة ، وينال الجزاء على غيرها.

هذه الأعمال وإن كانت بقضاء وقدر ، لكن الله وقد بين طريق الخير وسبيل الشر ، وأعطى للإنسان الإرادة والعقل ، أصبح عن طريق العقل والإرادة لا يعمل شيئا إلا باختياره ، إذا فهو هنا مخير بين أن يفعل أو لا يفعل ، فإن فعل فباختياره ، وان لم يفعل فباختياره.

لكن هناك أشياء لا خيار للإنسان فيها ، مثلا خلق الإنسان ووجوده في هذه الحياة على أي شكل من الأشكال طويلا أو قصيرة ، بدينا أم نحيلا سويا أو غير سوي ، طول أجله في الدنيا ، ما يصيبه من علل وامراض ، متى وفي اي مكان يموت ؟ كل هذه وأمثالها ما ليس في مقدور الانسان هو مسير فيها ، أما ما هو في مقدور الانسان من اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه فهو مخير وليس بمسير.

والخلاصة أن عقيدة القضاء والقدر في نظر الإسلام معناها الاعتراف بأن شيئا في الوجود كله لن يكون إلا بقضاء وقدر من الله ، وليس معنى القضاء والقدر كما يتصوره كثير من الجهال ، من أنه الاستسلام للأمر الواقع ، وترك فعل الاسباب والرضا بما تأتي به الحياة من غير تعب ولا مشقة ، أبدا هذا ليس هو معنى القضاء والقدر في نظر الإسلام ولا في نظر المسلم الفاهم للإسلام ، وإنما معناه الإيمان بأن شيئا لن يكون دون ارادة الله ، مع الاعتماد على

النفس ، وبذل الجهد في الحصول على مقومات الحياة ، وقد قال الرسول ﷺ : (اعملوا فكل ميسر لما خلق له).

يوشك أن تتداعى عليكم الأمم

هذا العنوان هو جزء من حديث ورد عن الرسول ﷺ يقول فيه : (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ، قالوا : أمن قلة يارسول الله ؟ قال : لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، تنزع المهابة من قلوب غيركم فتوضع في قلوبكم) هذا الحديث فيه اخبار من النبي ﷺ، بأن الأمم في وقت غير بعيد سوف تحيط بالأمة الإسلامية من كل جانب ، في انقضاض مخيف من أجل الاستيلاء عليها سياسيا ، واقتصاديا وثقافيا ، وبالتالي القضاء عليها عقائديا ، واستغرب الصحابة هذا الأمر وقالوا : يارسول الله هل يحصل هذا لأننا أمام هذه الأمم قلة ؟ قال : لا – انتم كثيرون – غير انه شبه هذه الكثرة بغثاء السيل الذي لا فائدة منه ، يعني ان عددكم كثير ولكن كثرتكم هذه لا فائدة منها ، وفي نهاية الحديث أشار إلى أن سبب عدم الفائدة من أن المهابة تنزع من قلوب غيركم فتوضع في قلوبكم ، يعني أن الهيبة التي كانت لكم في نفوس الأمم سوف تزول من قلوبهم وستصبحون أنتم الذين تهابونهم.

هذا الكلام قاله محمد ﷺ منذ مئات السنين وقد تحقق ، فالمسلمون الآن يعدون بمئات الملايين ، ومنتشرون في جميع أنحاء الأرض ويملكون ثروات طائلة ومع هذا تداعت عليهم الأمم من الشرق والغرب مستعمرين عقولهم وبلادهم ، ومستأثرين بخيرات أوطانهم ، وهم ينظرون إلى هذا الأمر نظر العاجز الذي لا حول له ولا قوة مؤكدين بهذا الواقع المؤلم ما أخبر الرسول ﷺ بوقوعه ، لكن لماذا تتداعى الأمم على هذه الأمة الإسلامية ؟ ولماذا لا يكون لكثرتهم فائدة ؟ ولماذا تنزع المهابة من قلوب غيرهم فتوضع في قلوبهم ؟ أسئلة تستحق التأمل حقا ، لكننا وبسهولة نستطيع أن نحدد الاجابة عن هذه التساؤلات كلها على النحو التالي :

أولا : تداعي الأمم على هذه الأمة أمر أخبر النبيﷺ عن قرب وقوعه وقد وقع ، وأسباب ذلك ما يأتي :

(أ) الانقضاض على الإسلام للقضاء عليه ، لأنه يقوم على محاربة الإلحاد والفساد ، والنظم في العالم تقوم إما على الالحاد أو الفساد ، وفي هذا تعارض كامل بين هذا النظام الإلهي والنظم الوضعية.

(ب) إخراج المسلمين عن الإسلام ، بدليل قول الله سبحانه وتعالى : (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) وقوله : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)

(ج) محاولة الاستيلاء على ثروات الأمة الإسلامية من بترولية وغيرها .

ثانيا : لماذا كثرة المسلمين غير ذات فائدة ؟ وللإجابة عن هذه النقطة ، أقول : إن الرسول ﷺ هنا يشير إلى المسلمين في المستقبل سوف تكثر اعدادهم ، لكن إسلامهم سوف يكون شكليا ، وهذا ما هو حاصل فعلا فالمسلمون كثيرو العدد ولكن العاملين بالإسلام أقل من القليل ، ذلك أن غالبية المسلمين - وعسى ألا أكون مجانبا للواقع- اذا قلت إن أغلبهم قد عطل أحكام الله واستبدل بها أنظمة ليست من عند الله ، كما أن الكثير منهم استحل كل ما حرم الله واصبح لا فرق بينه وبين غيره من غير المسلمين إلا أنه يحمل في هويته أنه مسلم ، إذا كثرة المسلمين وهم على هذا الشكل من الابتعاد عن الله وتعاليمه ليست ذات قيمة ، بمعنى أن بعدهم عن تعاليم الله وعدم الالتزام بأوامره ، جعل قلوبهم غير عامرة بمعاني الإيمان ولهذا السبب نزعت الهيبة من قلوب غيرهم فجعلت في قلوبهم وهذا واقع الآن ، وأقرب مثال على ذلك موقف المسلمين من اليهود في فلسطين ، هي تحتلها بالقوة وتنفي أهلها المسلمين منها بعد أن تستولي على ملكياتهم ، وتلقي بالسجون من تشاء منهم ، وهذه روسيا تحتل الدولة المسلمة افغانستان دون وجه حق ، ثم ها هم المسلمون يلاقون الكثير من الظلم في كثير من البلدان فلا يجدون لهم ناصرا من المسلمين ، كل ذلك سببه التنكر للعقيدة الإسلامية ، والانحراف عنها إلى عقائد ومذاهب جعلت المسلمين يفقدون معها الإيمان الذي يحدث الرعب في قلوب أعدائهم.

وبعد فإن ما أخبر به الرسول عن ما ورد في هذا الحديث من تداعي الأمم على هذه الأمة قائم ، إلى أن يعودوا من جديد إلى ربهم ويومها يأذن الله بالفرج ، ويعود للإسلام عزه ، ويستعيد المسلمون ما فقدوه من هيبة واحترام ويومها أيضا يفرح المؤمنون بنصر الله ، وعلى أي حال فإن ما خبر به النبي ﷺ في هذا الحديث وقد وقع إنما هو دليل ثابت على نبوة محمد ﷺ الذي لا يعرف من علم الغيب إلا ما أطلعه الله عليه.

احفظ الله يحفظك

ليس في وسع الانسان أن يعيش في أمان واطمئنان ، وليس في وسعه أن يتمتع بلذة الحياة المستقرة ، دون رعاية الله وحفظه له ، فإذا أردت أن تعيش سعيدا في حياتك ، وغدا كنت تريد أن تكون خاتمة حياتك طيبة وكريمة ، وإذا كنت تريد أن تكون مستقر النفس تحب لقاء الله في أمان واطمئنان فاحفظ الله يحفظك.

احفظ أوامر الله في أن تعبده مخلصا له دون غيره ، فلا تتوجه إلا إليه ولا تتوكل إلا عليه ، ولا تدعو غيره ، ولا تخاف إلا منه ، ولا ترجو غيره، ولا تعتمد في أمورك كلها إلا عليه ، آمن بأنه الخالق الرازق المدبر ، وأن هذا الكون رهن إرادته يصرفه كيف يشاء ، ويفنيه متى شاء ، أعبده كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، واحفظ أوامر الله بالمحافظة على أداء الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام ، وبالتمسك بالعفاف والأمانة وصدق الحديث ومراقبة الله في السر والعلن ، والبعد عن ممارسة الأعمال التي نهى الله عنها ، وفي مقدمتها الزنا والخمر وغيرهما من المنكرات التي حرمها الله ، واذا كان الله قد ضمن حفظه للإنسان إذا حفظ أوامره فليس لأن الله جلت قدرته في حاجة إلى عبادة ذلك الإنسان ، أبدا ، الله سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي ، فلو كان البشر كلهم أتقياء وصالحين لما نفعوا الله بشيء ، ولو كانوا كلهم فجارا وفاسدين ما ضروا الله بشيء ، إذا البشر في حاجة إليه لكنه ليس في حاجة اليهم ، غير أنه لكرمه بعباده يريد أن يجازيهم على كل عمل يعملونه من أجله بما يحقق لهم السعادة في دنياهم وآخرتهم ومن هنا ندرك أن الدنيا للإنسان بمثابة فترة امتحان ، يرى في نهايتها نتيجة ما عمله في حياته ، وهذا الإمتحان شبيه إلى حد كبير بالإمتحانات التي تضعها المدارس والجامعات للطلبة فتكون النتيجة إما نجاحا أو رسوبا، لكن المشكلة هنا هو أن الطالب عندما يرسب في الامتحان في الدور الأول ، تكون لديه فرصة أخرى في الدور الثاني ، وهذه الفرصة ربما تتيح له المجال للنجاح أما الرسوب في اختبار يوم القيامة فليست هناك فرصة أخرى ، بمعنى أن الإنسان إذا فارق الحياة فليس في إمكانه العودة إليها ليعمل

من جديد من أجل الحصول على ما يؤهله للنجاح ، الذي هو الطريق إلى السعادة ومن هنا فانه ما على الإنسان في دنيا الإمتحان إلا أن يلتزم بأوامر الله ، ليحفظه الله في دنياه وآخرته فقد ورد في حديث من أحاديث رسول الله ﷺ قوله : (احفظ الله يحفظك) يعني احفظ أوامر الله يحفظك في الدنيا من المصائب والنكبات ، ويسهل لك أمور الدنيا ، ويبعدك عن الأمراض النفسية والقلاقل والاضطربات التي تصيب أصحاب الانحرافات الفكرية والاخلاقية ، ويعطيك من منع الحياة وأطايب الملذات ما لا تظن به ، يقول القرآن الكريم في هذا المعنى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) كما يحفظك في الآخرة من أهوال النار ، وعقابيل العذاب ، وويلات الجحيم.

فما أنت إلا مخلوق ضعيف لا تقدر على تحمل العذاب ، فاحفظ أوامر الله يحفظك من كل سوء ، وتعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، وتذكر ذلك اليوم الذي لا وساطة فيه غير العمل الصالح . غير العمل الصالح.

أفكارنا و أفكارهم

يعيش البشر على كوكبنا هذا بجنسيات مختلفة ، ولغات متعددة ، وأديان متباينة ، وهكذا وعلى هذا النحو تسير الحياة بالبشر في تباين تام في الأفكار والمعتقدات كل يعيش بأفكاره التي استلهمها من معتقداته أو مجتمعه أو عاداته التي توارثها عن آبائه وأجداده ، بحيث أصبح لكل مجتمع من المجتمعات قناعات بأن ما هو عليه من معتقد أو غيره هو الذي يحقق رفاهية الانسان وسعادته.

وأترك كل المجتمعات بأفكارها ومعتقداتها ، لأقف بعضا من الوقت لا مع الشيوعيين الذين لا يؤمنون بإله ولا حساب ولا عقاب ولا جنة ولا نار ، ولا حتى قيم واخلاق وإنما مع الغربيين ، مبينا الفوارق الكبيرة بين أفكارنا كمسلمين ، وأفكارهم كنصارى لتتضح الرؤية للمنطلقات الفكرية لكل منا ، وذلك من اجل اعطاء الشباب صورة عن أوجه الاختلاف بيننا وبينهم من ناحية أسلوب الحياة وطريقة التفكير ، ويمكن تلخيص أوجه الاختلاف فيما يأتي :

١ - النصارى يعتقدون أن عيسى هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة . والمسلمون لا يعترفون بالعبودية إلا الله خالق الكون كله ، ويعتقدون بأن عيسى ليس إلها ، وإنما هو رسول من رسل الله ، مثل موسى ومحمد وغيرهما من رسل الله .

٢ - النصارى قاموا بفصل الدين عن الدولة ، لعدم قدرة الديانة المسيحية على مواجهة وحل مشكلات الحياة ، أما المسلون فعقيدتهم أن الإسلام دين ودولة ، وأنه قادر بتعاليمه على حل كل مشكلات المجتمع ، وأن فصله عن الحياة أمر في غاية الاستحالة .

٣ - الحضارة الغربية تقوم على أساس مادي أما الحضارة الإسلامية فتقوم على أساس روحي ومادى ، وهذا هو الطريق إلى تحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة .

٤ – الحرية في مفهوم الغربيين والشيوعيين ، هي التمرد على تعاليم الدين والتحلل من الأخلاق ، وهذه هي الفوضى بكل معناها ، بينما الحرية في نظر المسلم هي التحرر من كل عبادة لغير الله ، والتحرك داخل إطار تعاليم الإسلام .

٥ – هم يرون الزنا وشرب الخمر ، واللواط ، وأكل لحم الخنزير ، والربا ، والقمار ، أمورا لا تستحق الاستنكار ، ونحن نراها كلها جرائم يترتب عليها عقاب دنيوى وعقاب أخروى .

٦– المعاهدات في نظرهم لا قيمة لها إذا تعارضت مع مصالحهم بطريق مباشر أو غير مباشر بينا نحن المسلمين ننظر اليها على أنها التزام ديني يجب التمسك به مهما كانت الظروف .

٧ – هم يرون التفرقة بسبب اللون ، اذ يعتبرون الجنس الأسود من البشر حشرة قذرة لا تستحق من الحقوق ومتع الحياة ما يستحقه الجنس الأبيض ، بينما نحن المسلمين لا تفرقة عندنا بين البشر بسبب اللون وغيره ، والناس في نظر المسلم سواسية لا فضل لأحد على آخر في الحقوق والواجبات ، كلهم لآدم وآدم من تراب .

٨ – هم يعتقدون أن عيسى عليه السلام صلبه اليهود وقتلوه ، ونحن نعتقد كما اثبت القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب وإنما رفعه الله اليه والذي صلب وقتل إنما هو شخص آخر وضع عليه شبهه .

٩ – نحن ندعوهم إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة من أجل سعادتهم بينما هم يعملون على ازالة الإسلام من الوجود ، ويحاربون المسلمين في كل مكان .

١٠ – هم في كثير من بلدانهم قوانينهم تبيح الزنا واللواط ، وفي بعض تشريعاتهم اباحة الزنا بالأخت ، ونكاح المحرمات ، ويعتبرون ممارسة الأب الجنس مع ابنته نوعا من الشذوذ فقط ، وفي كثير من الحالات يعلم الزوج بخيانة زوجته ، وتعلم الزوجة بخيانة زوجها ومع

هذا تبقى العلاقات الزوجية دون أن يطرأ عليها أي انفصام ، بينما نحن ديننا يحرم هذا ، وطباعنا ترفضه ، ولا نرى من يعمل هذا إلا شبيها بالحيوانات الخرساء .

١١ - هم لا يعترفون برسالة محمد ﷺ ، بينا نحن المسلمين نؤمن بأن عيسى عبد الله ورسوله.

هذه بعض نقاط توضح الأفكار التي في أذهانهم ، وهي ولا شك أفكار لا تتفق مع أفكارنا نحن المسلمين ، ومن أجل هذا فان محاولة التقريب بين أفكارنا وأفكارهم ضرب من العبث ، إذ ليست هناك رابطة تربط بين المسلم وهؤلاء سوى العقيدة ، والبون شاسع بين شخص يعتقد بوحدانية الله وآخر يعتقد بأن مخلوقا من البشر هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة ، تعالى الله وتقدس عن هذا الاعتقاد علوا كبيرا ، وصدق الله اذ يقول : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا).

حقوق الانسان

الإسلام ليس نظاما بشريا وضعه الانسان المحدود العقلية والتفكير ، ولكنه دين إلهي أنزل للعالم بكل ما يصلح شؤون الحياة ، وكان من أوليات ما اهتم به الإنسان ، ذلك المخلوق الذي فضله على سائر المخلوقات ، فكرمه بالعقل وأعطاه الإرادة وسخر له كل شيء في هذه الحياة من أجل سعادته وسعادة الآخرين ، لذا كان هذا الإنسان أفضل مخلوق في دنيا البشر ، وجعل الناس جميعا غير متمايزين عن بعضهم بسبب العرق أو الجنس أو المال ، عملا بقول الرسول ﷺ (لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لغني على فقير إلا بالتقوى).

والإسلام وهو يضع النظام لحفظ حقوق الإنسان إنما يؤكد عنايته بحقوق ذلك الإنسان قبل أن يولد الميثاق الدولي لحقوق الانسان بمئات السنين وخلافا لمفهوم حقوق الإنسان في المواثيق الدولية ، والتي لا يمكن الاجبار عليها إذا تنازل عنها صاحبها ، فإنها في نظر الإسلام فريضة لا يجوز التنازل عنها ومن حق السلطة العامة في الإسلام حق الاجبار على تنفيذ هذه الفريضة.

وأول تكريم الله للإنسان ، أن جعله خليفة في الأرض يستثمر خيراتها ، ويقيم ميزان العدل فيها بحيث يعيش الناس أحرارا متساوين في الحقوق والواجبات ، وحتى يتحقق هذا المعنى ويصل الإنسان إلى ما أراده الله له من رفعة ومكانة رسم الإسلام له منهج الهداية التي يحقق له بها كل السعادة في دنياه وآخرته ففرض عليه التعليم بأوسع معانيه ، وقال في ذلك كتاب الله : (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقال الرسول ﷺ : (طلب العلم فريضة على كل مسلم) أى كل من أسلم ويشمل ذلك الرجال والنساء فكل مسلم في نظر الإسلام مطلوب منه بل واجب عليه أن يتعلم ، ذلك أن العلم هو الطريق إلى معرفة الله معرفة كاملة ، وإلى فهم ما شرعه الله لعباده ، وإلى إدراك أسرار

الحياة وما تتطلبه من علوم ومعارف ، لابد للحياة الانسانية منها ، وأعلن أن لا تفاضل بين أفراد الأمة لا في العرق ولا في النسب ولا في الجنس ، إلا بالتقوى عملا بقول الرسول ﷺ : (لا فضل العربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى) وقوله (النساء شقائق الرجال) وجعل للبيت صيانته وحرمته ، يقول القرآن الكريم في ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وحرم الاعتداء على مال الانسان ودمه إلا بموجب شرعي ، ونهي عن الاعتداء على أعراض الآخرين ، والتطاول عليهم بالسب أو الشتم أو غير ذلك من أنواع الأذى ، وحارب الظلم وبكل أشكاله والجور بكل أنواعه ، وسن قانون العقوبات لردع كل من أراد ان يعتدي على حقوق الآخرين التي نهى الله عن الاعتداء عليها ، فأوجب حد القتل على كل من اعتدى عمدا على قتل أي فرد من أفراد المجتمع وأوجب جلد الزاني اذا كان لم يتزوج بعد ، ورجمه إن كان قد تزوج ، وأوجب كذلك قطع يد السارق بشروط ، إذا سرق أموال الآخرين واهتم بالإنسان منذ ولادته حتى نهاية حياته وذلك برعايته طفلا ، والعناية به في كل مجال من مجالات حياته شابا ، ثم بالعطف والرحمة به عندما يكون شيخا ، كل ذلك مفصلا فيما جاءت به الشريعة من تعليمات ربانية ، وأوامر نبوية ، وجعل لكل انسان الحق في التملك بالطرق المشروعة والتصرف في ماله في حدود ما تسمح به تعاليم الإسلام ولا يجوز نزع الملكية منه إلا للمنفعة العامة ومقابل تعويض عادل ، وحرص كل الحرص على أن يبقى هذا الإنسان متمتعا بكل الحقوق التي أباحها الله له وألا يكون هناك من يحول بينه وبين التمتع بتلك الحقوق : وأيا كان الأمر فان الإسلام قد قرر حقوق الانسان بشكل لم يسبق إليه ، وقبل أن يولد الميثاق الدولي الحقوق الإنسان ، والإسلام لم يضع حقوق الإنسان في صورة توصيات أو ما هو قريب منها ولكنه وضعها في صيغة أوامر ونواه ، يترتب عليها الثواب أو العقاب من قبل الله جلت قدرته.

لماذا يحسدون ؟

النفوس كالأجسام تصاب بأمراض كثيرة كما تصاب الابدان سواء بسواء ، إلا أن الأمراض التي تصاب بها النفوس مثلا تختلف تمام الاختلاف عن أمراض الأبدان في أسمائها وطريقة علاجها فأمراض النفوس مثلا تسمى بالحقد والحسد والكراهية والبغضاء كما سميت أمراض الأبدان بالدوار والرمد والحمى وذات الجنب وما إلى ذلك ، ولئن كان الطب في القديم والحديث قد أظهر عنايته الفائقة وأتي بالمعجزات في القضاء على كثير من الأمراض وما يزال يكتشف ويخترع ، فان رسالة محمد ﷺ جاءت لتنفي كمال الإيمان عن اصحاب النفوس التي تضمر الشر وتكره الخير للآخرين (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) حديث من أحاديث الرسول ﷺ .

وبهذا يضع الإسلام قاعدة لبناء مجتمع تسوده المحبة وتتسع فيه روح الإخاء ، هذا المجتمع الذي ينشده العالم كله ويسعى المصلحون وعلماء الاجتماع إلى تحقيقه ، وعلى هذا فإن أهمية علاج النفوس من أمراضها لا تقل أهمية عن علاج الامراض البدنية لأنه اذا كان في أمراض الاجسام ما يهدد بموتها ، فإن في أمراض النفوس ما يهدد بموت الروح التي هي سبب سعادة الانسان وشقائه.

والنفس المريضة بداء الحسد تعني أن جانب الشر فيها قد طغى على جانب الخير ، ولولا هذا ما تمنت زوال النعمة عن الآخرين ، وليت شعري كيف تكون الحالة النفسية لمثل هؤلاء المرضى حينما يأخذ الحسد يأكل في قلوبهم ؟ إنها ولا شك حالة مريرة ومؤلة لا يحس بالامها إلا الحاسدون انفسهم والذين لا تكاد نار الحقد تهدأ من نفوسهم إلا لتبدأ من جديد كلما رأت آثار الخير وملامح السعادة على وجوه الآخرين إنه ولا شك مرض يستدعي العلاج.

وليس سوى الإيمان يملأ فراغ النفس بالقناعة والرضا وحب الخير لكل أحد ، ولن يكون هذا إلا حيث يوجد الإيمان العميق ، بأن ارادة قوية متصرفة هي إرادة الله التي تمنح أناسا

وتمنع آخرين لحكمة نحن أعجز من أن ندركها بعقولنا المحدودة ، لذا جاء ذلك الحديث القدسي ليقول : « إن من عبادى من لا يصلح ايمانه إلا الغني ولو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو اغنيته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أمرضته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا المرض ولو أصححته لأفسده ذلك. »

فإذا كان أصحاب النفوس المصابة بداء الحسد لا تقدر بأي وسيلة مهما كانت أن تحول بين الناس وبين سعادتهم ، وما يمنحهم الله من فضل أن يحلوا المحبة محل الكراهية والقناعة مكان الطمع ، وليرضوا بقسمته العادلة الحكيمة التي أرادها الله وإلا فلينتظروا مزيدا من الألم ، ولن يحول حسدهم بين نعمة أرادها الله لعباده ، وكفانا الله شر النفوس التي تضمر الحقد وتتمنى زوال النعمة عن الآخرين ، ودعوات من الاعماق بأن يرفع الله الحقد عن كل نفس ليكون الصفاء والحب والاخاء.

حرية القول في الإسلام

جاء الإسلام أول ما جاء لتحرير العقل من العبودية إلا الله ، ومن الخوف إلا منه ، ومن الالتجاء إلا إليه ، ومن الاستعانة إلا به.

جاء ليحرر عقل الإنسان ، وجسمه ، وروحه ، ولسانه ، لأن تحرير عقل الانسان معناه اطلاقه في عالم الحياة ليبحث ويعمل ، ثم ليبتكر ، وتحرير جسمه معناه اشعاره بأنه إنسان له قيمته الاجتماعية ، وله كرامة الإنسان كإنسان ، وتحرير روحه ، معناه اطلاقها من قيد الجمود ، وظلمة الجهل ، وتحرير لسانه ، معناه إطلاقه ليعلن كلمة الحق صريحة ، بأي مكان وفي كل وقت.

ولقد رأينا كيف أن المسلمين في صدر الإسلام كانوا يتمتعون بالحرية فيما يريدون التعبير عنه من آراء وأفكار ، وكيف أن الخلفاء انفسهم كانوا يأمرون أفراد الأمة ، أن يقولوا في حرية تامة ما يشاءون ، من توجيه وإرشاد ، فهذا أبو بكر رضي الله عنه يقول في أول خطبة له بعد توليه الخلافة : **إن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسددوني** ، ثم هذا عمر الخليفة الثاني لرسول الله ﷺ ، يقول لجماهير المسلمين : **من رأى في اعوجاجا فليقومه** ويقوم احد الصحابة ويقول له : اتق الله يا أمير المؤمنين ، فيعترض فيقوم أحد الجالسين في المسجد ، قائلا : اتقول لأمير المؤمنين اتق الله ، فنهره عمر ويسكت ويقول معقبا على ذلك : نعم ما قال ، لا خير فيكم اذا لم تقولوها ،ولا خير فينا اذا لم نسمعها ، ثم ها هو ذا مرة أخرى يتصدى له أحد من أفراد الأمة ليقول له ،وهو يخاطب الناس على المنبر: لا سمع ولا طاعة ، فيكف عمر عن الكلام ، ويقول : ولم ؟، فيقول : لأنك ميزت نفسك عن بقية المسلمين أعطيت كل فرد ثوبا واحدا ، ونرى عليك أكثر من ثوب ، فما كان منه رضي الله عنه إلا أن نادي بصوته قائلا : يا عبد الله بن عمر يا عبد الله بن عمر ، فيقول عبد الله : لبيك يا أبت ،

فيقول : سألتك الله ألا أكون قد استعرت منك هذا الثوب ؟ قال : بلى ، فقال ذلك الصحابي : الآن قل نسمع ونطع.

هذه بعض الأمثلة لحرية القول في الإسلام ، ولا يزال المسلمون بخير ما تزال حرية القول مكفولة لكل احد مالم تنقلب هذه الحرية إلى نوع من الفوضى فحينئذ يجب ايقافها لأنها لم تعد وسيلة للبناء ، وإنما وسيلة للهدم ، وهذا شيء لا تقره تعاليم الإسلام.

إن حرية القول معناها إعلان الحرب على النفاق والمنافقين ، والملق والمتملقين والخداع والمخادعين ، ومعناها كذلك الصرخة القوية النفاذة لإشعار المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، وهذا يجعل كل فرد يتحسس مواقع أقدامه ويطيل التفكير حينما يهم بارتكاب مما يخل بالآداب العامة ، أو النظم الاجتماعية ولا شك أن حرية القول قوية يخشاها في هلع اصحاب الضمائر المنحرفة والنفوس المريضة ، والايدي الخائنة ، وذوي الأغراض ذات المنافع الخاصة والمشتركة.

إن الصراحة في الحق يجب أن يواجه بها كل حاكم في بلده ، كل عالم في مكانه ، كل تاجر في تجارته ، كل موظف في عمله ، كل شخص له وجود في دنيا الحياة ، وبهذا يعرف الناس كيف يتجهون وكيف يعملون وإلى أين هم ذاهبون.

انظر الى من هو تحتك

هذا لفظ من حديث الرسول الله ﷺ قال فيه : (انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر ألآتزدرى نعمة الله عليك) وقبل أن أقوم وباختصار بتوضيح شبه مفصل لما يشتمل عليه هذا الحديث من توجيه نبوى عظيم أحب أن أنوه إلى أن الإنسان بطبيعته ميال إلى حب المال وغيره مما تتحقق به السعادة في الدنيا ويكون به ذا مكانة مرموقة بين أهله وعشيرته بل وخارج نطاق بلده وقومه ، هذه الطبيعة في الإنسان قد تخرجه في كثير من الأحيان عن دائرة الاعتدال والإيمان بأن كل شيء مقدر من عند الله فيدفعه ذلك إلى حسد الآخرين والحقد عليهم ، وربما يتمنى في بعض الاحيان زوال النعمة عنهم ، لأنهم اكثر منه ثراء ، أو أوسع منه علما ، أو أعرق منه جاها أو غير ذلك من الأمور التي يتنافس الناس فيها في دنياهم ، وهذا بدوره يخلق للإنسان مشاكل نفسية عنيفة تضر جسمه وعقله وتفكيره ، وتجعله دائما وباستمرار في جحيم نفسي مؤلم ، وهذا وحده كفيل بأن يحول سعادته إلى شقاء ، حتى ولو كان يملك كل متع الحياة ، والسبب في ذلك أنه لا يحب الخير إلا لنفسه.

وعلاجا لهذا المرض النفسي، جاء توجيه الرسول ﷺ في حديثنا هذا مشتملا على أمر ونهي وخبر ، الأمر في قوله ﷺ : (انظر إلى من هو تحتك) وهذا فيه اشارة نبوية إلى أن الإنسان حتى يعيش في طمأنينة نفسية ، ينبغي له عندما يحس من نفسه عدم الرضاء عن واقعه في أي جانب من جوانب حياته – وأن هذا الاحساس سوف يؤدي به إلى حسد الآخرين ، وتمني زوال النعمة عنهم – أن يقوم بمقارنة بين ما هو عليه على أي شكل كان وبين أناس كثيرين في مجتمعه الذي يعيش فيه ، وخارج مجتمعه ، ليرى ملايين من البشر يعيشون في وضع أسوأ من وضعه الذي يرى أنه غير راض عنه ، مع أن كثيرا من هؤلاء الملايين البشرية ، أفضل منه عقلا ، وأقوى جسما ، وأعمق تفكيرا وهذا يدعوه إلى القناعة والرضا بما قسم الله له من مال أو غيره ، لأجل هذا قال الرسول ﷺ: (انظر إلى من هو تحتك).

والنهي في قوله ﷺ : (ولا تنظر إلى من هو فوقك) وهذا توجيه نبوى آخر ، وهو في الوقت نفسه نهى عن إشغال النفس بما منحه الله للآخرين من ثروة أو علم أو جاه أو غير ذلك ، لأن هذا الاشغال في الواقع يؤدى إلى الألم والحسرة ، والألم والحسرة نار تحرق الأعصاب ، وتقضي على طمأنينة النفس ، فالإنسان وهو دائما شاخص ببصره إلى من اعطاهم الله فضلا من مال أو علم أو غير ذلك ، إنما يجلب لنفسه متاعب هو في غنى عنها ، لو أنه حمد الله على ما أعطاه ، وقنع بما قدره له من رزق وفرغ نفسه من الإهتمام بدنيا الآخرين ، لأن السعادة في الواقع ليست في وفرة المال ، ولا في كرة الأولاد وانما هي في القناعة بما قدر الله من رزق ولذا جاء حديث من أحاديث رسول الله ﷺ يقول فيه : (ليس الغني عن كثرة العرض ، إنما الغني غنى النفس) وهنا تظهر الحكمة من قول الرسول ﷺ (ولا تنظر إلى من هو فوقك).

والخبر في قوله ﷺ في آخر الحديث : (فإنه أجدر ألآ تزدروا نعمة الله عليكم) يعني أنكم اذا تبعتم أمر الله بالقناعة بما فضلكم الله به على غيركم من سعة في الرزق وصحة في الجسم وغير ذلك ، وانتهيتم عن الاشتغال بما أعطاه الله للآخرين من جاه أو ثراء أو غيره فإن ذلك كفيل بأن يمنحكم طمأنينة النفس ، وراحة الضمير ، والاعتراف بنعمة الله ، وهذه هي السعادة التي يسعى اليها كل أحد من الناس.

المجتمع الصالح

عملية إيجاد المجتمع الصالح ، عملية ولا شك شاقة إلى أبعد حدود المشقة ، وصعبة إلى أقصى حدود الصعوبة ، فجهاد محمد ﷺ الذي دام عشرات السنين في كل من مكة والمدينة كان الغرض الأساسي منه إيجاد المجتمع الصالح في عقيدته وإيمانه ، وفي عقله وتفكيره وخلقه وسلوكه ، وفي جده واجتهاده ثم في عمله وابتكاره واختراعه.

وبسبب هذا الجهد الطويل والشاق استطاع محمد ﷺ أن يوجد هذا المجتمع الفاضل الذي لو اردنا أن نتمثل مجتمعا صالحا تتكامل فيه المعاني الإنسانية الكريمة لما وجدناه مجسدا وواضحا إلا في تلك الضمائر الحية الطاهرة ، والنفوس النقية الرفيعة ، مجتمع اصحاب محمد ﷺ، حيث لا خرافة ولا تخريف ، ولا مكر ولا خداع ، ولا تكبر ولا استعلاء ولا تواكل ولا استجداء بل قلوب مؤمنة لا تعرف الشك ، وأنفس أبية لا تقبل الضيم ، وشمائل طاهرة لا تعرف الحقد ، واخلاق شريفة لا تميل إلى الحقارة والدناءة ، وهذه هي السمات البارزة للمجتمع الخالي من الاحقاد والشرور ، والقائم على مبدأ : لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

ونحن هنا في عصرنا الذي تغيرت فيه النفوس عن ذي قبل تغيرا كبيرا في أشد الحاجة إلى مجتمع صالح مثل ذلك المجتمع ليعطي للعالم كله الصورة المشرقة عن أخلاق المسلمين الصادقين .

والمجتمع الذي نريده هنا وفي هذا العصر هو المجتمع الذي تتوفر في أفراده ، قوة الإيمان والتسامح والولاء الخالص لدين الله ، لا الذي يتألف أفراده من أناس يتخذون من دين الله سلما للقمة العيش ، أو جماعات لا ترى من الحياة أكثر من مواقع أقدامها ، ولا تفهم سوى ما هو غير جوهرى من شريعة الله وبعبارة أكثر وضوحا فإن المجتمع الصالح الذي نعنيه هو الذي يتألف من الحاكم العادل والقاضي النزيه ، والموظف الشريف ، والتاجر الرحيم ،

والعامل المخلص ، لأنه حينما تتوفر هذه المعاني الكريمة في المجتمع فمعناه أن العدالة قد تحققت ، وأن المجتمع كله قد أصبح مجتمعا تتمثل فيه نظافة العقل ونظافة العرض ، ونظافة الضمير ، وهذا هو المجتمع الذي ينشده الأنبياء والمصلحون في كل زمان ومكان وخاصة الإسلام الذي هيأ للفرد كل الوسائل ليكون صالحا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى الصلاح .

تعقيب على الرياضة والإسلام

في العدد ٦٤٧ وتاريخ ١٤٠١/٦/١٣ هـ من مجلة اليمامة ، كتب كاتب مقالا يستوضح فيه عن موقف الإسلام من الرياضة ، وهل ممارستها حلال أم حرام ؟

والحقيقة أن مثل هذا السؤال لو طرح من شخص أمي لما كلفت نفسي عناء مناقشته لأن الشخص الذي لا رصيد له من العلم يتصور حتى البديهيات من أمور الحياة أمورا في غاية الإبهام والصعوبة ، ولكن سؤالا كهذا (في عصر نحن نسميه عصر العلم والمعرفة) يصدر عن إنسان مثقف مثل الأخ الكاتب من الصعب تجاهله وعدم الوقوف معه للمدارسة والمناقشة ، واجدها مكرمة من هذا الكاتب عندما يفسح صدره لمقدمة قصيرة ، قبل الدخول معه في صميم الموضوع مجال البحث ، هذه المقدمة ليست من أجله فقط وإنما للجميع وخلاصتها أن الإسلام آخر الرسالات السماوية ، ولذا أراد الله وهو العالم بمصالح البشر أن يكون هذا الدين شاملا لكل ما تتطلبه حياة المجتمعات البشرية في أي مكان كانت وعلى أي أرض وجدت سواء من يعيش في أقصى الشرق ، أو من يعيش في نهاية الغرب ، لذا فالإسلام ليس دينا محصورا داخل إطار الشعائر الدينية التي يمارسها المسلم كالصلاة والزكاة والصيام والحج ولكنه دين يهتم بشؤون الحياة كما يهتم بأمور الآخرة وينشر مظلته الواسعة على كل المجتمع يمارس كل فرد ما يناسب ميوله ورغباته في حدود ما رسمه لهؤلاء الأفراد من خلال التعاليم التي جاء بها ، وهي حدود واسعة يستطيع كل فرد أن يجد فيها متسعا لإشباع رغباته التي لا تلحق الضرر به أو بغيره من أفراد المجتمع ، ولو أننا درسنا أبعاد ما أباحه الإسلام للإنسان من متع في الحياة لكانت لدينا القناعة التامة بأن الإسلام قد وضع في مقدمة اهتماماته الرياضة ، وأقصد الرياضة بمعناها الواسع لا الرياضة البدنية فقط ، وأول رياضة اهتم بها الإسلام رياضة الفكر ، وهي في الواقع أهم من رياضة الجسم فقد أمر الله الإنسان أن يجول بفكره في ملكوت السموات والأرض متعظا ومعتبرا ومؤمنا بأن خالق هذا الكون هو الذي

يستحق العبادة دون غيره ، وهناك آيات أخرى تدعو إلى رياضة الفكر ، كما جاء ذلك في قوله تعالى : (أفلا تعقلون) (أفلا تذكرون) ، ذلك أن الفكر ومن خلال ترويضه وتنميته في مراكز ومعاهد البحث العلمي يأتي بالعجائب من المنجزات العلمية الهائلة ، وعن طريق تهذيبه بالأخلاق الرفيعة يشيع الحب والخير بين الناس ، وهكذا في كل مجال من مجالات الحياة عندما يروض الفكر على ما فيه سعادة الانسان يصبح مصدر خير وسعادة ، ومن هنا أقول إن التركيز على رياضة الفكر أهم بكثير من رياضة البدن لما لها من مردود نافع يعود على المجتمع كله .

أعود فأقول لهذا الكاتب بعد أن أؤكد بأن الاهتمام بالرياضة الفكرية أولى من الاهتمام بالرياضة البدنية وهذا لا يعني أنني أدعو إلى عدم الإهتمام بالرياضة البدنية .. أبدا ليس هذا ، لكني أقول لو أنا أعطينا للرياضة الفكرية بقدر ما أعطينا للرياضة البدنية من اهتمام لكانت أفكار شبابنا غير ما هي عليه اليوم من عدم الاهتمام بالأمور الجادة والمفيدة للمجتمع ، لقد حققت الرياضة الفكرية قديما علماء خدموا القرآن والسنة ، ونشروا علم التاريخ والفلسفة ووضعوا قواعد علم الطب والفلك وما إلى ذلك من علوم ساهمت إلى حد كبير في اسعاد البشرية ، واليوم قطعت الرياضة الفكرية أشواطا هائلة في مجال العلم فقد استطاع الانسان عن طريق هذه الرياضة الفكرية التي تبحث وتقارن وتحلل أن يصل بتوفيق من الله إلى أشياء كانت إلى الخيال أقرب منها إلى الحقيقة ، وبعد فلعلني قد ابتعدت قليلا عن جوهر الموضوع الذي يتساءل الكاتب عن موقف الإسلام منه وهو الرياضة البدنية ، لكني كنت مضطرا إلى ذلك لما أراه من الاهتمام بالجانب المادي الرياضي على الجانب الرياضي الفكرى.

ولكي أدخل في مناقشة الموضوع أحب أن أقول للأخ الكاتب : قد ذكرت في مقالك بعض الآيات القرانية مستدلا بها على أن القران يفرض على الانسان أن يهتم بجسمه ، كما ذكرت ايضا أن الرسول ﷺ كان يسابق عائشة وهذا نوع من الرياضة ، إنك في الواقع قد أجبت على سؤالك بأن الإسلام يأمر بالرياضة وما دام أنه يأمر بالرياضة فما وجه طرح مثل هذا السؤال

وطلب توضيح هذا الموضوع من قبل ذوى الرأي في هذا المجال ؟ وأيا كان الدافع للسؤال فأنت مشكور لأنك طرحت موضوعا هو محل اهتمام الكثير من أبناء المجتمع وخاصة المهتمين بأمور الرياضة ، والآن وقد حان الوقت للإجابة على السؤال المطروح، أبدأ بتسجيل ذلك القول المأثور : **علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل** ، مكتفيا به عن ايراد أي دليل آخر على موقف الإسلام من الممارسات الرياضية على اختلاف أنواعها ، ومؤكدا استغرابي لطرح سؤال كهذا من شخص مثقف مفترض أن يكون عارفا بموقف الإسلام من هذا الموضوع السهل الذي يفهمه أقل الناس ثقافة.

إن الإسلام – أخي الكاتب – لا يحرم ممارسة الأعمال الرياضية بجميع أشكالها ، ما لم تخرج عن حدود الآداب العامة ، أو تؤدي إلى أمر غير مباح ، واذا كان أحد يرى غير هذا فهو يظلم الإسلام ، بهذا الرأي ، وما كنت أظن قبل طرح هذا السؤال على جمهور القراء أن أحدا في هذا العصر يحمل في ذهنه من قريب أو بعيد أن الإسلام يحرم ممارسة الأعمال البدنية الرياضية ، صحيح أن المصارعة مثلا وهي نوع من أنواع الرياضة فيها عنف ووحشية ولكنها مع هذا العنف غير محرمة وكذلك الملاكمة أيضا مع ما فيها من قسوة غير محرمة ، لكن المحظور فيهما كشف العورات .

يحيرني جدا طرح هذا السؤال من شخص يذكر في كلمته أن الرسول ﷺ قد سابق أعرابيا على الإبل فسبقه الأعرابي ، وبأنه صارع أعرابيا وصرعه ، وأن الرسول ﷺ كان يصعد جبل حراء وينزل منه ولا يرى عليه نوع من الاجهاد ، وإن كان الرسول ﷺ لا يصعد جبل حراء من أجل الرياضة البدنية ، وإنما الأمر أسمي من الرياضة ، ولكن صعوده ونزوله دون ظهور التعب عليه يدل على قوته الجسمانية ، وأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان أول من وضع نظاما لسباق الخيل ، وأن سيرة النبي ﷺ وخلفائه من بعده وتاريخ الإسلام على امتداد تسلسله كل هذه تدل على أن الرياضة كانت موجودة نظاما وممارسة وتشجيعا ، أقول يحيرني هذا

السؤال من شخص يعرف كل هذه الأشياء ، ثم لا يعتبرها أدلة قاطعة على موقف الإسلام الواضح من موضوع الممارسات الرياضية على اختلاف أنواعها .

إنني أحب هنا أن أطمئن هذا السائل وغيره إلى أن الإسلام لا ينظر إلى تفاهات الأمور ولا يهتم بالأشياء الشكلية في دنيا البشر ، وأنه لم يحرم إلا ما فيه ضرر على الفرد أو الجماعة أو المجتمع ، وأي ضرر على أحد من ممارسة رياضة المشي أو القفز أو السباحة أو التزلج ؟ بل العكس هو الصحيح ففي الرياضة قوة للأجسام ، وفيها ممارسة الأعمال الفروسية وفيها تمرين على صعود الجبال وعبور البحار ، وفيها معرفة بأساليب الرمي وكل هذه أمور تخدم الإسلام فكيف يخطر في الذهن سؤال يستوضح عن موقف الإسلام من ممارسة رياضة كرة القدم أو اليد أو السلة التي هي بدورها إن أوجدت تعارفا بين الشباب المسلم وأنشأت علاقات طيبة بينهم كانت عامل تقارب بين شباب الإسلام ؟ وهذا أمر يرحب به الإسلام نفسه بل ويدعو اليه .

إننا – أخي الكاتب – في عصر ازدهار العلوم وصراعات الأفكار ، فلو كان سؤالك عن رأي الإسلام في هذا الفكر أو ذاك ، أو كان عن رأيك في أسباب الانحدار الخلقي المنتشر في العالم كله وكيفية علاجه ، أو عن موقفه من علوم الكون ومراكز البحث العلمي ، أو هل من الممكن أن يستوعب الإسلام حضارة هذا العصر دون أن تؤثر على الأخلاقيات التي نادى بها ؟. أقول لو كان سؤالك حول هذه الأمور الهامة لكان سؤالك أكثر وجاهة من السؤال عن الرياضة وهل ممارستها من وجهة نظر الإسلام حلال أم حرام ؟ سؤال غريب لكن صاحبه مشكور لأنه أتاح الفرصة للكلام في موضوع يهم الشباب ....

دعاء

اللهم أجعل خير عمرى آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم لقاك ، اللهم إني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ، وأسألك حسن القصد ، وصفاء النية ، وصلاح القلب ، اللهم إني أسألك نعمة الاعتراف بوجودك ، والإيمان بقضائك وقدرك ، وأسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

اللهم إني أسألك علما نافعا ، ورزقا واسعة وحلالا طيبا .

اللهم ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام ، أسألك أن تقبل توبتي ، وتغفر ذنبي وتنير قلبي ، وتشرح صدري ، وترفع ذكرى يارحمن يارحيم ياذا العظمة والجلال والمن والعطاء .

اللهم ياواسع الفضل والإحسان أسألك أن تولي علينا خيارنا ، وتدفع عنا شرارنا ، ولا تجعل لكافر أو فاسد سلطانا علينا .

اللهم لا تجعلنى حاكما يظلم عبادك ، أو يغير شريعتك أو يتهاون في أمرك ، أو يفسد في أرضك ، ولا عالما يتاجر بدينك ، ويخون أمانة العلم الذي منحته له ، وتفضلت به عليه ، وجعلته أمانة في عنقه ، ولا تاجرا لا يهمه غير جمع متاع الدنيا ، دون مراعاة للحلال والحرام منها ، ودون اهتمام بما أوجبته عليه من حقوق للفقراء وغيرهم فيها ، ولا موظفا يرتشي عن طريق وظيفته ، أو يقصر في أداء عمله ، أو يعطل أعمال الأمة بسبب لا مبالاته ، واستهانته بواجبات أعماله ، ولا مرابيا يمارس عملية الربا دون خوف من عقابك ، ولا مدرسا لا يصوغ أفكار تلك البراعم الغضة على العقيدة الإسلامية التي تحمي أفكارهم من الانحراف والانحدار ، ولا قاضيا ، يجعل من وظيفته سلما للحصول على مطامع مادية ، أو يتأثر في حكمه بأي وساطة كانت ، أو يتهاون فيما يرى أنه الحق من أجل ارضاء أحد من الناس ، ولا عالم طبيعة يشاهد أسرار الحياة المذهلة من خلال الآلات المكبرة ، ثم لا يدفعه ذلك إلى الإيمان

بك خالقاً عظيمة ، ولا طالب علم لا يهمه من العلم إلا الحصول على الدنيا ومصالحها والتمتع بملذاتها ، ولا صاحب أسرة لا يأمر أسرته بالمعروف ، ولا ينهاها عن المنكر ، ولا مرائيا يقدم للناس أعمالا ظاهرها أنها تك ، وحقيقتها أنها من أجل مدح الناس وثنائهم .

اللهم إني عبدك الضعيف فقوني على طاعتك ، واشملني بعفوك ، وارزقني القناعة بما رزقت ، ولا تجعلني من أولئك الذين تمكن حب الدنيا من قلوبهم فأصبحوا عباد الدنيا والدرهم .

اللهم يا عالم الأسرار اخرج من شباب هذه الأمة من يقيم أمر دينك ، ويقوم المعوج من أمر أمتك ، فأنت صاحب السلطان المطلق ، وأنت القادر على رد هذه الأمة إلى طريقك و طريق الخير و السعادة والنجاة.

اللهم غنك تعلم أن الناس قد تهاونوا بأمرك ، وابتعدوا عن تعاليمك ، وساروا في متاهات من الدنيا ممعنين في الغواية والضلالة لدرجة أن منهم من ينكر وجودك ، ويعمل على تقويض دينك ، فلا تؤاخذنا اللهم بما فعل السفهاء من عبادك ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

فهرست

الموضوع	الصفحة